الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيجل

كلـــــــية الآداب واللـــــــغات

عنـــــــوان المـذكـرة:

الأبعاد التداولية في سورة هود

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص لسانيات الخطاب

إعداد الطالبتين:

- مزهود راضية
- مراجي خديجة

إشراف الأستاذة:

حسينة قويدر

السـنة الـجامعـية:

2020-2021 /1441هـ-1442هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله والشكر لله سبحانه وتعالى الذي أعننا ووفقنا لإتمام هذا العمل، نحمده حمده حمدا يليق بمقامه وجلاله

ونصلي ونسلم على خير الهدى نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم

يسعدنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة على هذا العمل

"**حسينة قويدر**"

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا، ولم يبخل علينا بإرشاداته الوجيهة والسديدة، وأخص بالذكر

الأستاذ "**حشاني عباس**"

ونتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في هذا العمل من قريب أو من بعيد، وإلى كل من أمدنا بيد العون

ولو بكلمة طيبة مشجعة

فشكرا للجميع وبكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى

راضية * خديجة

إهداء

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى، أما بعد:

الحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا هذه

إلى روح جدتي الغالية رحمها الله وأسكنها فسيح جناته، ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعالى مهداة:

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأدامهما نورا لدربي

إلى العائلة الكريمة التي ساندتني ولا تزال

إلى رفيقات المشوار اللاتي قاسمنني لحظاته رعاهم الله ووفقهم

إلى كل ما كان لهم أثر على حياتي

إلى كل من أحبهم قلبي ونسيهم قلمي

راضية

إهداء

الحمد لله الذي تواضع لعظمته كل شيء، الحمد لله الذي خضع لملكه كل شيء، الحمد لله

الذي وفقني على ما أنا عليه فلك الحمد و لك الشكر يا رب العالمين

تفيض العبرات وتغيب الكلمات، ويعجز اللسان عن الكلام ويتوقف القلب عن الكتابة عن أغلى

الناس وأقرب الأحباب إلى قلبي أولى بحر الحب والعطاء "أمي وأبي"

إلى ملاكي في الحياة وغلى معنى الحب والتفاني، إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعاؤها سر نجاحي

وحنانها بلسم جروحي "أمي الحبيبة"

إلى من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب، إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة إلى من حصد الأشواك

عن دربي ليمهد لي طريق العلم إلى القلب الكبير "أبي الغالي"

إلى من شاركوني رحم أمي إخوتي واخواتي: من محمد، مريم، عبد الرحمن، ونور عيني جهينة

إلى التي حين أتحدث عن لطف الدنيا أبدأ بها زوجة أخي فطيمة

إلى التي كلما ضاقت بي الدنيا لجأت إليهما: ابنة خالي سميحة، وصديقتي دنيا

إلى خالي العزيز "اليزيد"

إلى الكتاكيت: هيثم، سامي يزن، أنس، هبة الله

خديجة

مقدمـــة

مقدمـة:

تشكل التداولية اليوم قطبا رحى العلوم اللسانية، إذ انصب اهتمام الباحثين اللسانيين عليها خصوصا بعد وصول النظريات السابقة إلى طريق مسدود، فعلقوا عليها آمالا عظيمة طامعين أن يفكوا بها غوامض النص التي لم يجدوا لها تفسيرا في ما مضى من العلوم والمناهج وقد انبعثت التداولية من رحم العلوم التي سبقتها، والتي جاءت لتفسير الظاهرة اللغوية في إطار مستوى أعلى من المستوى الذي ارتقت إليها للسانيات وعلومها، ولما بلغت اللسانيات وما تفرع منها وعنها إلى طريقها المسدود،كان لزاما على العلماء والمفكرين إيجاد حل لهذه الأزمة التي ربطت علاقتها بأكبر لصيق بالإنسان ألا وهو لغته. ويعد هذا المبحث مصب اهتمام كثير من العلوم التي تهتم بالإنسان وفكره اللغوي، كعلم الاجتماع، علم النفس، الفلسفة، واللسانيات وغيرها، وعليه ترشح التداولية بأن تكون أشمل وأعمق في البحث والتفكير من كثير من المناهج التي حاولت فك شفرات النص دون جدوى، وبقيت عاجزة أمام قرار النصوص المكين .

تعد التداولية منهجا جديدا من مناهج الدراسات اللسانية الحديثة، فظهرت وتطورت في السبعينات من القرن العشرين، إبان الانقسام التاريخي العام في مسار المعرفة المعاصرة على يد "أوستين Austin"، ثم طورها تلميذه "سيرل Searle"، وقد ظهرت كردة فعل على الاتجاه البنيوي وعلى ما اكتنفه من قصور، حيث ركز على دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، وفي صورتها الآنية بعيدا عن السياق، فاهتمت التداولية بالكلام والأداء، أو ما يعرف بمقاصد المتكلمين من خلال دراسة اللغة وكيفية فهم المتكلمين بعضهم بعضا، فجمعت بهذا بين التركيب والدلالة والسياق، فكانت عبارة عن امتداد لجهود الاتجاه الوظيفي التواصلي، لأنه يعنى بدراسة اللغة في السياق وأثناء الاستخدام.

ارتبطت التداولية بتحليل الخطاب، حيث تمكنت من تقديم تفسير ناجح للعملية التخاطبية، بعد أن أخفق الاتجاه البنيوي في ذلك، فتجاوزت دراسة اللغة إلى دراسة الخطاب، والعناصر الخارجية المحيطة به، من زمان ومكان التخاطب، والمتكلم والمخاطب لكي توضح مقاصد المتكلم، والمعنى المراد إيصاله إلى المخاطب.

وتعرف التداولية بأنها دراسة المنجز اللغوي أثناء الاستعمال، أي دراسة اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة باعتبارها كلاما محددا صادرا عن متكلم محدد، وموجه إلى مخاطب محدد بلفظ محدد، في مقام محدد، لتحقيق غرض تواصلي محدد. فهي إذا تهتم بدراسة اللغة في حيز الاستعمال، وبالتالي تتجاوز المعاني

الوضعية للمفردات والمتعلقة بالبينة والدلالة إلى معان أخرى تكتسبها من السياق بنوعيه، السياق الداخلي، والسياق الخارجي ممثلا في المقامات التي ينجز فيها الخطاب.

وقد بينت بعض الدراسات التي قام بها عدد من الأساتذة والباحثين العرب، مدى اهتمام علماءنا القدماء بالجانب التداولي في دراساتهم، ومؤلفاتهم المختلفة النحوية، البلاغية، والأصولية وغيرها، كما توصلت دراسات هؤلاء الباحثين إلى أن للبعد الخطابي التداولي أهمية بالغة في تفسير النصوص القرآنية، وربطها بمقاماتها الخارجية، والمتمثلة في أسباب نزولها، فالمفسرون هم كذلك كانوا تداوليين بامتياز في تفاسيرهم على اختلافها، حيث نجدهم يقفون على العلاقات الداخلية في النصوص القرآنية لإقامة التفاعل بينها وبين سياقاتها الخارجية،

أمام هذا المنجز المعرفي الجديد الغني بآليات التحليل والذي يجمع شتات العملية التواصلية دون إقصاء لأي طرف منها, يعنى بدراسة مقاصد المتكلم كونه مالك سلطة القول وركن مهم في عملية الخطاب، بدل فكرة موت المؤلف التي نادت بها البنيوية، تعنى كذلك بالمخاطب كونه متلقي مالك لأدوات التلقي، دون تسيده على النص كحال التفكيك، و تعنى أيضا بالقصدية كونها منطقة تجمع بين صاحب الخطاب و متلقيه، بدل مغالطة المقصدية التي نادى بها النقاد الجدد criticsthe new وبعدهم أصحاب الحداثة كلهم وعلى هذا الأساس جاءت هذه الدراسة الموسومة ب "الأبعاد التداولية في سورة هود أنموذجا"

لعل الأسباب المعرفية السابقة الذكر كانت الدافع الأقوى لاختيارنا لهذا الموضوع، ناهيك عن شغفنا بالدراسات اللغوية عامة، و بالدرس القرآني تحديدا الذين حاولنا جادين مجتهدين الاقتراب منه عبر هذه المنهج – التداولية – و الذي وجدناه الأنسب لدراسة النص المقدس فقاربناه رغبة و رهبة و إكبارا.

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الإشكاليات التالية :

- هل تستطيع التداولية كمنهج النجاح في مقاربة النص القرآني؟
- ما مدى مساهمتها في فهم مقاصده الخطاب القرآني في السورة النموذج سورة هود؟
- إلى أي مدي استطاعت نظرية الأفعال الكلامية أن تكشف عن الأبعاد التداولية لخطاب سورة هود؟
- ما هي أهم الآليات الحجاجية الموظفة في خطاب سورة هود و ما مدى مساهمتها في عملية التأثير والإقناع؟

مقدمة:

قد كان الهدف من هذا البحث رصد الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني وذلك من خلال الوقوف على نموذج سورة هود، وتحليلها تحليلا تداوليا انطلاقا من السياق اللغوي للخطاب وعلى المقام وما يحيط به من أحوال مركزا على نظريتي أفعال الكلام و الحجاج تحديدا بغية الوصول إلى حقيقة ما يروم إليه خطاب سورة هود من مقاصد ودلالات.

لتحقيق هذه الغاية قسمنا البحث إلى فصلين تسبقهم مقدمة وتليهم خاتمة، حيث تضمن الفصل الأول ماهية التداولية، فاحتوى على مفهوم التداولية لغة واصطلاحا، نشأة الفكر التداولي وتطوره، علاقة التداولية بالعلوم الأخرى، مهام التداولية، وأهميتها معرجينا في كل مرة علي المنجز العربي القديم، وظائف التداولية وأبعادها، مفهوم الخطاب واستراتيجياته، أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا ، والموسوم بالأبعاد التداولية في سورة هود، والذي تضمن وقفة مع سورة هود و ما جاء فيها وذكرنا فضائل السورة الكريمة و ملابسات نزولها ، ثم تناولنا بنية الأفعال الكلامية في السورة بما فيها من أفعال (قولية وإنجازية وتأثيرية)، وكذلك بنية الحجاج (الأنواع، الروابط، العوامل، والسلالم) الإشاريات (الإشاريات الشخصية، الزمانية، والمكانية) في ممارسة تطبيقية خضنا فيها غمار النص القرآني.

ذيلنا بحثنا هذا بخاتمة شملت أهم نتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة.

اقتفينا في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي وهو الأنسب لطبيعة الموضوع المدروس حيث يتابع الظاهرة وصفا وتحليلا وتفسيرا، بالإضافة إلى المنهج التداولي في الجزء التطبيقي من البحث، بحيث يخوض في خصائص تداول الملفوظ بين المتكلم والسامع مع مراعاة الملابسات الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية .

اعتمد العمل على جملة من المصادر و المراجع كانت له المعين على خوض مغامرة البحث أهمها: "في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم" لخليفة بوجادي، "التداولية عند العلماء العرب" لمسعود صحراوي، " تفسير التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور.

لا يكاد يخلو بحث من عقبات و صعاب ولعل ابرز الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث.

- عدم وجود منظومة اصطلاحية دقيقة وموحدة للمنهج التداولي ومرد ذلك جدة هذا الحقل المعرفي الفتي ناهيك عن تداخله مع معارف متعددة و تشربه من مجالات مختلفة.

- حاجز اللغة و صعبة الترجمة من الكتب الأم وتضارب الترجمات العربية واختلافها.
- صعوبة الممارسة التطبيقية التداولية وتشعبها خاصة إذا كان النص فلوت كالنص القرآني

في الختام، لا يسعنا إلا أن نسال الله التوفيق، والهداية إلى اقرب طريقة ، انه وكيل ذلك والقادر عليه، وهو نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول:

التداولية والخطاب

أولا: مفهوم التداولية.

ثانيا: نشأة الفكر التداولي وتطوره.

ثالثا: علاقة التداولية بالعلوم الأخرى.

رابعا: مهام التداولية.

خامسا: أهمية التداولية.

سادسا: وظائف التداولية.

سابعا: مفهوم الخطاب.

ثامنا: الأبعاد التداولية.

أولا: مفهوم التداولية pragmatique

1- المفهوم المعجمي:

تجدر الإشارة إلى أن التداولية، أو التداوليات، أو البراغماتية، أو البراجماتية، أو الوظيفية، أو السياقية.....؛ دوال متواترة في اللغة العربية في مقابل كلمة pragatics اليونانية المشتقة من براغما، وتعني الحركة أو الفعل action، بيد أن مصطلح التداولية يظل الأكثر استعمالا وشيوعا بين الباحثين.

وهو مصطلح مركب من وحدتين إحداهما معجمية "تداول"، والأخرى صرفية "ية" دال على مصدر صناعي، والدال، والواو، واللام في اللغة أصلان أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان إلى مكانه، والآخر يصدر على ضعف واسترخاء[1].

فيرد معنى الجذر (د، و، ل) في المعاجم العربية حاملا لمعاني تكاد تكون متطابقة إلا بعض الزيادات، فنجد في لسان العرب:« (د، و، ل) تداولنا الأمر أخذها بالدُّول، وقالوا دوليك أي مداولة الأمر...، ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أي أخذته هذه مرة والأخرى مرة»[2]. وهو ما يتوافق مع ما جاء به الزمخشري في أساسه: (د، و، ل) «دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، أدال الله بين فلان من عدوهم، جعل الكره لهم عليه، وعن الحجاج إن الأرض ستدال كما أدلنا منها. وفي مثل: يدال من البقاع كما يدال من الرجال، وأديل المؤمنين على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم، والماشي يدول بين قدميه، أي يراوح بينهما»[3].

في حين ورد الجذر (د، و، ل) في معجم الوسيط بمعنى: دال الدهر دولا ودولة انتقل من حال إلى حال والأيام دارت، ويقال دالت الأيام بكذا ودالت له الدولة...، وأدلَّ الشيء جعله متداولا...، ويقال داول الله الأيام بين الناس دارها وصرفها[4]، وعليه فإن جل المعاجم العربية القديمة اتفقت على معنى واحد للجذر (دول).

---

[1] – جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016، ص:13.

[2] – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، مادة (دول)، المجلد 5، دار صاد، بيروت، لبنان، ط4، 2005.

[3] – أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري: أساس البلاغة، تح محمد أحمد قاسم، مادة (د، و، ل)، شركة ابن الشريف الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، 2005، ص: 270.

[4] – المعجم الوسيط، ابراهيم أنيس وآخرون، مطبعة القاهرة، مصر، ط4، 2004، ص: 328/327.

كما أن التداولية من التداول والتداول التفاعل، وكل تفاعل يلزمه طرفان على أقل تقدير: مرسل ومستقبل، متكلم وسامع أو مستمع، كاتب وقارئ، على معنى أن مدار إشغال التداولية هو غايات متكلم، وكيف تبلغ مستمعا أو متلقيا[1].

ورد مصطلح التداولية في القرآن الكريم في عدة مواضع منها: ما جاء في قوله تعالى:﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ 188﴾[2]، ومعناها لا تلقوا بأموالكم إلى الحكام لتأكلوها بالتحاكم، فتداولوا من الإدلاء أي الإلقاء، لكي لا تقعوا في الخطأ على علم فتحاسبون على ذلك. كما جاء في قوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ 140﴾[3]. وهذا ما ذكره الزمخشري: «نداولها نصرفها بين الناس: نديل تارة لهؤلاء و تارة لهؤلاء»[4].

ومنه فإن دلالة لفظة التداول في القرآن الكريم تدور حول معنى كل من الانتقال، التناوب، والتحول. ومن خلال هذه المعاني التي وردت في المعاجم العربية نجد أنهم أجمعوا تقريبا على وضع معنى واحد للجذر (د، و، ل)، والذي يحيل إلى التحول، والتبدل، والاسترخاء، والتناقل، والانتقال، والتمكين، وهو نفسه المعنى الذي وردت به في القرآن الكريم.

2- المفهوم الاصطلاحي:

تعتبر التداولية علم جديد للتواصل، يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ويدمج مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره، بالإضافة إلى كونها حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة كالفلسفة التحليلية ممثلة في فلسفة اللغة العادية، وعلم النفس المعرفي ممثلا في نظرية الملائمة، وعلوم التواصل[5].

حيث تطرق كل من اللغويين الغربيين والعرب المعاصرين إلى تقديم مفاهيم مختلفة للتداولية:

---

[1] – بهاء الدين محمد مزيد: تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، دب، ط1،2010، ص: 18.

[2] – سورة البقرة، الآية 188، رواية حفص.

[3] – سورة آل عمران، الآية 140. رواية حفص.

[4] – أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري: الكشاف، ج2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، دت، ص: 438.

[5] – مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص: 16/15.

عند الغرب:

تعددت تعريفات الباحثين اللغويين الغربيين حول مصطلح التداولية؛ إذ يعرفها "فيليب بلانشيه Philip Blanchet" بأنها مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية...، وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية، والحدثية و البشرية. ويراها فيليب أيضا بأنها الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل[1].

وفي تصر "موريس Morris" التداولية هي العلم الذي يدرس علاقة العلامات بمؤوّليتها، فهذا هو التعريف الأولي للتداولية. فهي تفترض التركيب والدلالة، فالمعلوم أن التداولية تمثل العلاقة بين تمثل العلاقة بين العلامات فيما بينها والعلامات في علاقتها بالأشياء، حتى نصل إلى علاقة العلامات بالمؤولين[2].

وقد عدد "جورج يول George Yule" جملة من التعريفات للتداولية، حاول من خلالها رسم حدودها وامتدادها؛ إذ ذكر أن التداولية تعنى بدراسة المعنى كما يعبر عنه المتكلم (أو الكاتب ويؤوله المستمع) (أو القارئ)، وبالتبعية فإنها تهتم أكثر بتحليل لما يرمي إليه المتخاطبون من ملفوظاتهم، أكثر مما تعنى بما يحتمل أن تعبر عنه الكلمات أو الجمل نفسها، وعليه فإن التداولية دراسة لمقاصد المتكلم[3].

في حين تنقل "أرمينكو Ermenco" تعريفا للتداولية من "فرانسيس جاك Francis Jack"، الذي يرى أن التداولية تتطرق كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا[4].

فبحسب هذا التعريف نجد التداولية قد تجاوزت الدراسات التي تنظر إلى الجملة أو العبارة الكلامية على أنها مجرد كلمات إلى دراستها في سياق استعمالها.

ويقترح "ليفنسون Levinson" عدة تعريفات للتداولية نذكر منها:

التعريف الأول:«ما دام التركيب دراسة للخصائص التأليفية بين الكلمات والبحث في المعنى وما يعاكسه من أشياء فإن التداولية هي دراسة الاستعمال اللغوي».

---

[1] – فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غولفمان، تر صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007، ص: 18/ 19.

[2] – ينظر: صابر الحباشة، المراجعات الحجاج في التداولية مدخل إلى الخطاب البلاغي، البحرين، دط، 2011، ص: 203.

[3] – جواد ختام: التداولية أوصولها واتجاهاتها، ص: 16/ 17.

[4] – ينظر: فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علواس، المؤسسة الحديثة، سوريا، ط1، 1997، ص: 12.

التعريف الثاني:«التداولية دراسة المبادئ التي تؤهلنا لإدراك غرابة بعض الجمل أو عدم مقبوليتها أو لحنها أو عدم ورودها في لغة المتكلم»[1].

من هذه الرؤى المختلفة نستنتج أن التداولية قد تعددت مفاهيمها وذلك نظرا لتعدد التخصصات، فكل مفهوم يحمل منطلقات نظرية تسير وتضبط إجراءاتها ضبطا منهجيا، فالتداولية في مفهومها العام دراسة اللغة أثناء التواصل والاستعمال.

عند العرب:

يرى صلاح فضل أن التداولية هي الفرع العلمي من مجموعة العلوم اللغوية الذي يختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة، ووظائف الأقوال اللغوية، وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام[2].

كما تجدر الإشارة إلى تعريف ابن جني:« التداولية هي القوانين التي تحكم وتصف كيفية استعمال اللغة في السياقات المختلفة»[3]. في تعريف آخر للتداولة: «هي اتجاه في الدراسات اللسانية يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، وسيتتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ وبخاصة المضامين والمداولات، التي يولدها الاستعمال في السياق»[4].

بالإضافة إلى أن التداولية تدرس نظام اللغة المستعمل في الواقع الاجتماعي التواصلي، ولا يمكنها أن تنعزل عن الجانب التواصلي للغة، لأنها نظام في ذهن الجماعة، ولهذا لا يمكن للدراسة التداولية أن تصفه، أما اللغة فهي تطبيق لذلك النظام، فتلك هي التداولية واهتماماتها، ولذلك أصبحت ظاهرة توصف بظواهر تسمى العلم الذي

[1] – إدريس مقبول: الأسس الإبستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2005، ص: 263.

[2] – صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، علم المعرفة سلسلة كتب ثقافية، الكويت، دط، 1992، ص: 20.

[3] – صبحي إبراهيم الفقي: التداولية عند ابن جني دراسة تطبيقية في كتاب الخصائص، مجلة الدراسات الشرقية، جمعية خريجي أقسام اللغات الشرقية بالجامعات المصرية، مصر، ع39، 2007، ص: 320.

[4] – عبد الحميد مصطفى السيد: دراسات في اللسانيات العربية بنية الجملة العربية التراكيب النحوية والدلالية علم النحو وعلم المعاني، دار الحامد، عمان، الأردن، ط1، 2003، ص: 120/119.

يعنى بظواهر التواصل اللغوي[1]، كما تمثل التداولية دراسة تهتم باللغة في الخطاب وتنظر في الوسيمات الخاصة به، قصد تأكيد طابعه التخاطبي[2]. ومنه فإن التداولية تتميز بتنوع اهتماماتها ومجالاتها لاختلاف مشاربها.

ثانيا: نشأة الفكر التداولي وتطوره:

قطعت التداولية في تاريخها الممتد من خمسينيات القرن العشرين إلى حدود الآن أشواطا مهمة، مرت بعدة تحولات، فبعدما كانت تنعت قبل عقود بسلة المهملات، أصبحت حقلا معرفيا خصبا لا حدود تحده ولا حواجز تمنعه من اقتحام حقول أخرى[3]. وقد خرجت التداولية من عباءة الفلسفة، ثم وجدت لنفسها مكانا فسيحا في مجال اللسانيات، وقد تجلى إسهام الفلسفة في نشأة التداولية من خلال تيارين فلسفيين شهيرين هما الفلسفة النفعية، والفلسفة التحليلية[4]، حيث تطورت التداولية ضمن مجموعة من المقاربات اللغوية من بينها تحليل الحوار، تحليل النص، وتحليل الكلام/ الخطاب، بوصفها امتدادا طبيعيا لأطروحات النحو الوظيفي التي طورها "هاليداي"[5].

ولا ننسى ذكر أن نشأة التداولية توافقت تقريبا مع نشأة العلوم المعرفية، ولقد جرى التفكير في الذكاء الاصطناعي في سياقات عقلية جديدة، هي العقلية التي مكنت من ظهور العلوم المعرفية. ففي أمريكا على وجه الخصوص اتخذ علم النفس منذ بداية القرن العشرين وجهة سلوكية، ويرفض علم النفس السلوكي ـ الموغل في التجريبية ـ التسليم بوجود أشياء غير قابلة للملاحظة كالحالات الذهنية، وهو يكتفي بملاحظة السلوك، فظهرت العلوم المعرفية (علم النفس، اللسانيات، فلسفة العقل، الذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب) ردا على التيار السلوكي[6].

وهذا ما يؤكد أن التداولية كان لها ارتباطا قويا مع مختلف العلوم الإنسانية الأخرى.

---

[1] – عباس حشاني: الخطاب والحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2003، ص: 97/96.

[2] – جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، ص: 18.

[3] – جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، ص: 20.

[4] – عامر خليل الجراح: الإجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج والإنجاز، دار السنابل، اسطنبول، تركيا، ط1، 2019، ص: 14.

[5] – بهاء الدين محمد مزيد: تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ص: 10.

[6] – آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مر: لطيف زيتوني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص: 27.

1- الأصول الإبستيمولوجية للنظرية التداولية:

1-1- الفلسفة التحليلية:

وهي المنطلق التأسيسي لنشأة التداولية أو التيار الفلسفي الذي يجسد المرجعية المعرفية لهذه الظاهرة اللغوية، كما تعتبر منبع الأفعال الكلامية باعتبارها أو مفهوم تداولي، ولقد نشأت الفلسفة «في العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا بالنمسا، على يد الفيلسوف الألماني "غتلوب فريج Gattlab frége" (1848-1925)، في كتابه أسس علم الحساب»[1] من خلال محاضرات ودروس في الفلسفة والمنطق، طور بها الكثير من قضايا الفلسفة التحليلية، والتي أنتجت بدورها الفلسفة الأوستينية في اللغة من خلال تناولها للقضايا التداولية[2]. وممن اشتهروا ببحوثهم في هذا الموضوع كذلك نجد الفيلسوف النمساوي"لودفيغ فيتنشتاين Wittgenstein" (1889-1951)، والذي سار على نهج "فريج frége" في نظره إلى الجانب الاستعمالي للغة.

كما أسس اتجاها فلسفيا جديدا أسماه:"فلسفة اللغة العادية"، والتي تميزت بالبحث في المعنى غير الثابت وغير المحدد، كما اهتم بدراسة العلاقة بين اللغة والفكر وبين أنهما غير منفصلين. ولقد حدد مسعود صحراوي مفهوم الفلسفة التحليلية ولخصها حسب الهدف الذي تسعى إليه في جملة من المطالب والاهتمامات من بينها[3]:

- ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم، وخصوصا جانبه الميتافيزيقي.
- تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع "نظرية المعرفة" إلى موضوع "التحليل اللغوي".
- تجديد وتعميق بعض المباحث اللغوية ولاسيما مبحث "الدلالة" والظواهر اللغوية المتفرعة عنه.

وعليه فإن الفلسفة التحليلية قد تشكلت من أنقاض الفلسفة التقليدية من حيث المنهج.

1-2- النظريات اللسانية الحديثة:

أسهمت المدارس اللسانية بأنواعها المختلفة من بنيوية وسيميائية وتوليدية تحويلية في إثراء النظرية التداولية بمفاهيم متعددة لأنها«تنطلق جميعا من الاهتمام بالتواصل والاستعمال الفعلي للغة، لأن ذلك يحدد بنيتها التركيبية

[1] - مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص: 18.
[2] - ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص: 61
[3] - مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص: 22.

إضافة إلى المتكلم يبني كلامه وفق ظروف التواصل وطبيعة المتلقي، لا وفق مبادئ النظام أو حتى ما يرتبط به هو، يعّه منتج الكلام»[1].

ومنه نستنتج أن النظريات اللسانية تتفق والتداولية في فكرة الاستعمال الفعلي للغة، واهتمامهم جميعهم بالتواصل الذي يفرض التوافق بين المرسل والمتلقي.

2- النشأة والتطور:

2-1- مرحلة التأسيس:

ويعتبر الفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرس بيرس Charles Sanders Pierce" صاحب الفضل في استحداث مصطلح التداولية في الثقافة الغربية، وفي ظهوره بصورة علمية وذلك بعد نشره لمقال في مجلة "ميثافيزيقا" سنة 1987، بعنوان كيف نجعل أفكارنا واضحة؟، الذي يعتبر امتدادا لمقال يثبت المعتقد لسنة 1877، الذي نشر في نفس المجلة، ويرى "بيرس Pierce " أن أي لفظ مجرد لا معنى له إذا لم نستطع استخدامه أو القيام بفعل شيء بموجبه بطريقة ملائمة ومتميزة، ليضيف فيما بعد أن معنى أي فكرة يكمن بالنهاية في تأثيرها على أفعالنا[2].

وقد اختلف مفهوم "بيرس Pierce " للتداولية بتطور مراحل فكره، وتفطن للأخطاء التي وقع فيها في تعريفه المبكر للبراغماتية باعتبارها نتيجة طبيعية للمعتقد، وخلص إلى أن البراغماتية ـ بوصفها قاعدة في المعنى ـ مرتبطة بالاستدلال الفرضي، لأن الإيضاح والتفسير يقتصر على الأفكار الجديدة من النضج الفكري. توصل إلى نظرية متكاملة في المعنى وزاد اهتمامه بنظرية الإشارات التي كان أثرها واضحا عليه، وذلك من خلال التحول من الفهم الإجرائي للقاعدة البراغماتية إلى الفهم المنطقي الخالص، فتعتبر البراغماتية في هذه المرحلة تطويرا لنظرية الإشارات التي كان يهدف من خلالها إلى اكتشاف طريقة يتم بواسطتها الاتصال بين الأفراد الذي لا يتحقق إلا من خلال الإشارات التي كان يحاول إيجاد طريقة جديدة لتحديد معانيها[3].

ويكمن إختلاف مفهوم بيرس في كون البراغماتية في هذه المرحلة تطويرا لنظرية الإشاريات.

---

[1] – خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص: 62.

[2] – ينظر: نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، دب، دط، دت، ص: 172/ 182.

[3] – ينظر: فايزة منغير، إلهام منغير، المنحى التداولي في كتاب الخصائص لابن جني، شهادة ماستر، 2016/ 2017، ص: 39.

2-2- مرحلة النضج:

ولم تصبح التداولية مجالا يعتد به، إلا في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن طورها ثلاثة من فلاسفة اللغة (أوستين Austin، سيرل Searle، وغرايس Grice). فقد كانت بداية تطور اللسانيات التداولية بنظرية أفعال الكلام، التي ظهرت مع "أوستين"، وتطورت على يد "سيرل" وبعض فلاسفة اللغة من بعده، لتظهر بعدها جملة من المفاهيم والنظريات التي تشكل مجتمعة ما يعرف باللسانيات التداولية(أفعال الكلام، الاستلزام التخاطبي، الإشارات، الحجاج، القصدية...)[1]. حيث تتلمذ "سيرل" على يد "أوستين"، وقدم إضافات أصبحت فيما بعد من أهم القضايا التي ألهمت المهتمين بالتداولية وحقولها.

- **إسهامات "أوستين":**

ساهم "أوستين" في نشأة التداولية فعند الحديث عن هذه الأخيرة ينبغي عدم خلطها بالنفعية، ذلك التيار الفلسفي الأمريكي الذي يمثله أساسا الأمريكي "ويليام جايمس William James" و"جون ديوي John Dewey" أو "ريشتارد دورتي Richard Drorty " قبل أن تظهر بمدة طويلة دراسات في هذا المجال. ففي سنة 1938 ميز الفيلسوف الأمريكي "شارلز موريس Charles Morris" في مقال كتبه في موسوعة علمية بين مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة وهي: علم التركيب (وبالإجمال النحو الذي يقتصر على دراسة العلاقات بين العلامات)، وعلم الدلالة (الذي يدور على الدلالة التي تتحدد بعلاقة تعيين المعنى الحقيقي القائمة بين العلامات وما تدل عليه). وأخيرا التداولية التي تعنى في رأي "موريس" بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها، والذي استقر في ذهنه أن التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلم والخطاب وظرفي الزمان والمكان (الآن، هنا)، والتعابير التي تستقي دلالاتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها؛ أي من المقام الذي يجري فيه التواصل.

ومع ذلك ظلت التداولية كلمة لا تغطي على أي بحث فعلي...، فلقد انطلق "أوستين" من ملاحظة بسيطة مفادها أن الكثير من الجمل ليست استفهامية، أو تعجبية، أو أمرية لا تصف مع ذلك أي شيء، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب[2]. وكانت هده الفكرة المنطلق الأساسي بناء نظريات التداولية.

[1] - ينظر: آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص: 28/ 30.

[2] - ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2002، ص: 09.

عندما ألقى الفيلسوف "جون أوستين John Austin" "محاضرات وليام جايمس William James" عام 1955، لم يكن يفكر في تأسيس اختصاص فرعي للسانيات، فلقد كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة، ونجح في ذلك بيد أن "محاضرات وليام جايمس" ستكون كذلك بوتقة التداولية اللسانية، وستمثل فيها قطب الرحى طوال ثلاثين سنة.

كانت غاية بقية المحاضرات التي ألقاها "أوستين" سنة 1955، وضع أسس الفلسفة التحليلية الأنجلوسكسونية في تلك الحقبة موضع السؤال، وهو أساس مفاده أن اللغة تهدف خاصة إلى وصف الواقع، فكل الجمل (عدا الاستفهامية، والأمرية، والتعجبية)يمكن الحكم عليها بأنها صادقة أو كاذبة، فهي صادقة إذا كان الوضع الذي تصفه قد تحقق فعلا في الكون، وهي كاذبة بخلاف ذلك. وعلى هذا النحو فإن جملة "تكتب آن وجاك كتاب التداولية اليوم" صادقة بما أنه في الوقت نكتب فيه هذه الفقرة، فإننا نكون بصدد تأليف الكتاب المعني الذي ستقرؤونه خلال بضعة أشهر. ولقد أطلق "أوستين" على هذه الفرضية المتعلقة بالطابع الوصفي للجمل تسمية موحية هي : الإيهام الوصفي، وأفرد لها "محاضرات وليام جايمس" لمناقشتها ورفضها.

- **إسهامات "سيرل":**

ويتمثل في الإسهام الثاني لـ"سيرل Searl" في تحديده للشروط التي بمقتضاها يكلل عمل متضمن في القول بالنجاح، فيميز بين القواعد التحضيرية ذات الصلة بمقام التواصل (يتحدث المتخاطبون اللغة نفسها ويتحدثون "بنزاهة"...إلخ)، وقاعدة المحتوى القضوي (يقتضي الوعد من القائل أن يسند إلى نفسه إنجاز عمل في المستقبل)، والقواعد الأولية المتعلقة باعتقادات تمثل خلفية (يتمنى من تلفظ بأمر أن ينجز العمل الذي أمر به...)، وقاعدة النزاهة ذات الصلة الذهنية للقائل (ينبغي عليه أن يكون عند الإثبات أو الوعد نزيها)، والقاعدة الجوهرية التي تحدد نوع التعهد الذي قدمه أحد المتخاطبين (يقتضي الوعد أو التقرير التزام القائل بخصوص مقاصده أو اعتقاداته)، وقواعد المقصد والمواضعة التي تحدد مقاصد المتكلم والكيفية التي ينفذ هذه المقاصد بفضل الموضوعات اللغوية، ومكن هذا التحديد سيرل من تقديم تصنيف جديد للأعمال اللغوية[1].

[1] – ينظر: آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص: 74.

أما " هانسون " فكانت جهوده أعمق، إذ استطاع أن يربط بين الأجزاء التداولية المتفرقة حين قدم نظاما تداوليا يقوم على التوحيد النسقي بين الأجزاء والنظريات التداولية المختلفة، وذلك بجعلها في ثلاث درجات يتم الانتقال فيما بينها على أساس تنامي السياق، الذي يكشف عن عملية التطور التي تخضع لها التداولية[1].

يرى "فيليب بلانشيه " أن "كانط" استعمل لفظ البراغماتية، الذي يبتعد عن استعمالات لفظ (التداولية)، ولاسيما أنه تحدث عن مفهوم القصد ومشروع العمل اللذين يعدّان من مهمات المفهومات التداولية، ولهذا نستطيع القول: إننا أمام مؤسس حقيقي للتداولية سبق "بيرس" بقرن من الزمن، والغريب انه لم يشر إليه أغلب الذين كتبوا في تأسيس التداولية[2].

وعرفت التداولية من قبل العلماء العرب في العصور القديمة بمفهومها العلمي وناقشوها في كثير مما وصلنا من تراث غني، على الرغم من عدم تأصيلهم لمصطلح التداولية بلفظه، فقد توافروا على كل ما تهتم به من مظاهر لغوية تنبع من سياقات الاستعمال اللغوي الدائرة في مستوى التخاطب الفعلي، وكانوا قد ترجموا العديد من المباحث المتصلة بهذا الموضوع في بابي الخبر والإنشاء، ولم يعتن بهذا الموضوع اللغويون من النحاة، وعلماء البلاغة فحسب بل اعتنى بها كل من علماء المنطق والفلاسفة، والأصوليون، والفقهاء عناية شديدة، وقد ورد التمثيل للتداولية في إشارات مقتضبة عند الحديث عن الحذف والتوكيد مثلا، وذلك اعتمادا على السياق نفسه بين طرفي الخطاب، ويعتبر مصطلح التداولية مختلفا عن المذهب الذرائعي في الفلسفة، فأول من أعطى تعريفا للتداولية هو "موريس"؛ إذ عدّها جزءا من السيميائية حين ميز بين ثلاثة فروع للسيميائية وهي: التركيب (النحو) ويقصد به دراسة العلاقات الشكلية بين العلامات، والدلالة ويقصد بها دراسة العلامات بالأشياء، وأخيرا التداولية ويقصد بها دراسة علاقة العلامات بمؤوليها.

ولقد أصبحت التداولية في السنوات الأخيرة موضوعا في اللسانيات بعد أن كانت سلة المهملات للعناصر والمعلومات، التي لا يمكن توظيفها عن طريق الأدوات اللسانية التقليدية؛ حيث يرى "جفري ليج" أنه: «لا نستطيع حقيقة فهم طبيعة اللغة إلا إذا فهمنا التداولية؛ أي كيف نستعمل اللغة في الاتصال»[3]. في حين أصبحت اللسانيات الحديثة في نظر المتتبعين محكومة بتيارين متمايزين هما: التيار السويسري، والتيار الأوستيني،

[1] – عامر خليل الجراح: الإجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج والإنجاز، ص: 27/ 28.

[2] – هديل حسن عباس: التداولية النشأة والتطور، ص: 6.

[3] – ينظر: المرجع السابق، ص: 6/ 7.

هذا الأخير الذي نشط بعد التيار السابق بأربعة عقود تقريبا، ولم يكد يستوي التيار الثاني عند بروز اللسانيات التداولية أساسا، على نحو ما مر تفصيله حتى انفلتت مفاهيمها، متطورة إلى أشكال عدة وأقسام متنوعة أسست لمدونه اصطلاحية مستقلة،... والحقيقة أن حصر امتداد التداولية في اللسانيات الحديثة أو في العلوم الأخرى ليس أمرا هينا لتنوع المشارب وتعدد المجالات[1].

من هذا المنطلق لم يعد مرجع التداولية في ما تعتقد "آن بول"، لائحة محدودة المفاهيم، وإنما تعدت مجال الكلمة إلى الجملة، أو بالأحرى الملفوظ، كما تخطت مرحلة المشروع لتتحول إلى اتجاه له انشغالاته الخاصة، بيد أن ذلك لم يحل دون الاستمرار في تحاشي التداولية، وبالنظر لما تطرحه من غموض والتباس متصلين بحدودها ومفاهيمها وصلاتها بحقول معرفية أخرى[2].

ثالثا:علاقة التداولية بالعلوم الأخرى:

اهتمت التداولية بدراسة اللغة مما جعلها ترتبط مع مجموعة من العلوم والتخصصات الأخرى، هذه الأخيرة أيضا ذات صلة باللغة، فلقد ولدت التداولية تحت علامة التعددية؛ إذ تعمل التداوليات على تحليل الفكر وضمان النظام والدقة في المعرفة، واستبعاد النتائج المتبلورة ذات البعد الواحد[3]، ومن النقاط التي تلتقي وتختلف فيها التداولية مع التخصصات الأخرى نذكر منها:

1- علاقة التداولية باللسانيات:

ترتبط التداوليات ارتباطا وثيقا باللسانيات، ومرد هذا الارتباط اهتمامها بدراسة علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة، التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، وهكذا فبالنسبة

[1] - ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط2، 2012، ص: 62.

[2] - جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، ص: 22.

[3] - ينظر: هاجر مدقن، المقاربة التداولية المصطلح والمنهج، الملتقى الدولي الأول النقدي يومي 10/9 مارس، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2011، ص: 373.

لـ"أوستين" و"سيرل" يأتي ارتباط التداوليات باللسانيات من تصميم دلالات فعل الكلام، الذي يعني "التصرف أو الفعل الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام."[1]

ويصف "رادلف كارناب" التداولية بأنها قاعدة اللسانيات، أو أساسها المتين الذي تستند إليه؛ أي أنها حاضرة في كل تحليل لغوي، موجودة معها قرينة لها، ومع ذلك فإننا إذا تتبعنا اهتمام الدراسة اللسانية، وجدنا أنفسنا أمام عتبات المفارقة أو الحدود، فبمجرد أن ينتهي عمل لساني في دراسة اللغة (البنية)، يظهر الإسهام التداولي في تجلي الأبعاد الحقيقية لتلك البنية المعلنة مغلقة، وتنفسح من تم على الأبعاد النفسية والاجتماعية مع احتساب مجموع السنن الذي يحكمه[2].

وعليه فإن اللسانيات تهتم بدراسة اللغة باعتبارها نظاما من العلاقات المجردة، في حين التداولية تقوم بدراسة اللغة كممارسة عملية ونشاط تواصلي.

2- علاقة التداولية بعلم الدلالة:

إذا كان منشأ الإشكالية الأولى فيما بين التداولية واللسانيات نابعا من صعوبة ضبط حدود مجال دراسة كل منهما، فإن تداخل التداولية بعلم الدلالة مرده إلى أن كل منهما يتناول المعنى الذي زبدة التواصل، ومهما حاولنا التفريق فإن هذه العلة تجعلنا نتردد إيزاء التمييز على الرغم من وجود ملامح التمايز، إن هذا التداخل هو الذي أعاق اتفاق الألسنيين على ضرورة الفصل، وبيان حدود كل مجال على خلفية أن علم الدلالة كما التداولية، وهو يحاول تبيين معنى كلمة، أو عبارة، أو جملة، لا يمكن أن يكون ذلك بمعزل عن علاقة ذلك المتكلم ومقاصده، وعن السامع والموقف[3]. وعليه فعلاقة التداولية بعلم الدلالة تكمن في كونهما يتناولان المعنى، وهذا ما استصعب الفصل بينهما عند بعض العلماء.

على الرغم من هذا التداخل فإن "شارل موريس" هو أول من حاول إدخال نوع من المقابلة المفضية إلى التمييز بين مجالات ثلاثة في دراسة اللغة[4]:

- المجال النحوي أو التركيبي: ويتعلق الأمر بمجموع القوانين التي تضبط عملية الصحة النحوية.

[1] - نور الدين جعيط: تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتاب الحديث، أربد الأردن، ط1، 2012، ص: 61.
[2] - ينظر: نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص: 124.
[3] - ينظر: المرجع السابق، ص: 124-125.
[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص: 125.

- المجال الدلالي: يدرس العلائق القائمة بين المعاني والأشياء التي تعنيها في إطار سياق اللغة.
- المجال التداولي: يدرس علاقة العلامات باستعمالاتها ومقاماتها وأطرافها التداولية.

ومن الدارسين من يعد التداولية امتدادا للدرس الدلالي على نحو ما يذهب إليه "latravars"؛ إذ لم تتضح العلاقة بينهما إلا بعد انتشار محاضرات "أو ستين"، التي كانت أول ثمارها هذا التمييز بين مجاليهما[1].

ومنه فإن كل من التداولية وعلم الدلالة يكمل أحدهما الآخر، فنميز بين نوعين من المعاني معنى مرتبط بمجال التداولية يستفي من الوحدة الكلامية كاملة، ومعنى مرتبط بمجال الدلالة يستفي الجمل فيما بينها.

3- علاقة التداولية بالبلاغة:

إن التداولية تنطلق من هدف أساس هو استثمار الممكن والمتاح من الآليات لتوصيل رسالة لغوية معينة، وجعل المعنى بها يعيبها ويتحرك في إطار انجازها، ولعل هذا ما يدفع التداوليين المعاصرين إلى تعريف البلاغة بأنها:«فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع على القارئ»، لأن البلاغة في نظر هؤلاء نظام ذو بنية من الأشكال التصويرية واللغوية يصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدد[2]، حيث يرى "ليتش" أن البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما، ولذلك فإن البلاغة والتداولية تتفقان على اعتماد اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي، على أساس أن النص اللغوي في جملته إنما هو نص في موقف[3]. وهذا ما جعل التداولية ترتبط بمباحث البلاغية، والتقاطع معها في عدة قضايا.

4- علاقة التداولية باللسانيات النفسية والاجتماعية:

تعتمد التداولية في دراستها على مقولات اللسانيات النفسية، والدليل على ذلك مبدأ التعاون، فالاستجابة وفهم القصد نابع من شخصية الفرد وهو بعد نفسي تداولي[4]، "سرعة البديهية، وحدة الانتباه، وقوة

[1] – ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص: 127.

[2] – محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة مبحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، دب، ط1، 2008، ص: 175.

[3] – صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة بنى ثقافية شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، دت، ص: 89.

[4] – ينظر: محمد محمد علي يونس، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004، ص: 99.

الذاكرة الشخصية...كل هذه العناصر تشرح ملكة التبليغ" الحاصلة في الموقف الكلامي، كما أن لها تأثيرا كبيرا في أداء الأفراد، وبذلك فإن التداولية تعتمد في درسها على مقولات اللسانيات النفسية في هذا المجال[1].

تشرك اللسانيات الاجتماعية في ظروف نشأتها والبدائل التي عرفتها في التداولية، حيث نشأت كرد فعل على اللسانيات البنيوية التي قامت بالاستبعاد الاجتماعي في اللغة، واقترحت بأن تدرس اللغة بالإسناد على مباحث أفعال الكلام.

ومن خلال هذا الاشتراك يظهر أن التداولية ذات تداخل كبير مع اللسانيات الاجتماعية من خلال بيان أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث على موضوعه، وبيان مراتبهم وأجناسهم، وأثر السياق اللغوي في اختيار التنوعات اللغوية البارزة في كلامهم[2].

رابعا: مهام التداولية:

تتلخص مهام التداولية في[3]:

- دراسة استعمال اللغة فهي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها، ولكن تدرس اللغة حين استعمالها في الطبقات المفاهيمية المختلفة؛ أي باعتبارها كلاما محددا صادرا من متكلم محدد وموجها إليه الخطاب.
- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.
- بيان أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.

ويرى "فان ديك" أن من مهام التداولية كذلك، دراسة شروط نجاح العبارات وصياغة شروط ملائمة الفعل لإنجاز العبارة، ومدى ملائمة كل ذلك لبنية الخطاب ونظامه، يقول:«إن أحد مهام التداولية أن تتيح صياغة شروط إنجاح إنجاز العبارة، وبين أي جهة يمكن أن يكون مثل هذا الإنجاز عنصرا في اتجاه مجرى الفعل المتداخل الإنجاز، الذي يصبح بدوره مقبولا أو مرفوضا عند فاعل آخر، وبهذا الاعتبار فإن المهمة الثانية: تقوم في صياغة مبادئ تتضمن اتجاهات في إنجاز العبارة حتى تصبح ناجحة، والمهمة الثالثة: أنه لما كانت معطيات التجربة متاحة

[1] – ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص: 132.

[2] – ينظر: الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص: 45/ 46.

[3] – حافظ اسماعيل علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، ط2، 2014، ص: 40.

بأوسع ما تكون في صورة العبارة فقط، فيجب أن يكون من الواضح في التداولية، كيف تترابط شروط نجاح العبارة كفعل إنجازي، وكمبادئ فعل مشترك الإنجاز التواصلي مع بنية الخطاب وتأويله»[1].

خامسا: أهمية التداولية:

تتضح أهمية التداولية من حيث أنها مشروع شاسع في اللسانيات النصية، تهتم بالخطاب ومناحي النصية فيه، نحو المحادثة المحاججة، التضمين...، ولدراسة التواصل بشكل عام، بدءا من ظروف إنتاج الملفوظ إلى الحال التي يكون فيها للأحداث الكلامية قصد محدد إلى ما يمكن أن تنشئه من تأثيرات في السامع، وعناصر السياق، فهي تتساءل: إلى أي مدى تنجز الأفعال الكلامية تغيرات معينة أيضا، وبخاصة لدى الآخرين[2].

ولسعة الدراسات التداولية في اللغة، فقد تفرعت عليها نظريات متعددة فاهتم كل منها بجانب تداولي معين، وقد تطورت أبحاثها في عدة مسارات، بل لم تقتصر الدراسات التداولية على الباحثين اللغويين فحسب، فقد أسهم فيها باحثون في عدة تخصصات أخرى، وقد عنت الدراسات التداولية بأكثر من جانب من جوانب الخطاب[3].

تجدر الإشارة إلى أن للاتجاه التداولي أهمية بالغة في الدرس اللغوي المعاصر، فعلى الرغم من اتساع جوانب الدرس فيه وتعدد الموضوعات التي لا يجمع بينها غير ظواهر الاستعمال، فهو يقدم لونا من الدرس للغة في تجلياتها الحية التي لا يمكن إغفاله أو الإغضاء عنه، ويبدو ذلك جليا في الأخطاء التداولية التي قد تجلب على المرء من المزعجات والمخاطر مالا قبل له به[4]. تهتم التداولية بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية الحديثة البشرية، كما أنها تهتم باللغة في الخطاب، وتناظر في الوسيمات الخاصة به قصد تأكيد طابعه التخاطبي، فهي تهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل[5].

---

[1] – باديس لهويمل، نور الهدى حسني: مداخل اللسانيات التداولية في الخطاب البلاغي متابعة تداولية، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة بسكرة، ع2، 2017، ص: 43.

[2] – خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص: 135.

[3] – عبد الهادي بن ظافر الشعري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص: 24.

[4] – محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2002، ص: 52.

[5] – ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص: 18/ 19.

كما تظهر أهمية اللسانيات التداولية في تجاوز النظر اللغوي فيها مستوى الجملة إلى النص، والمعطيات السياقية والمقامية التي تجعله يرد بتلك الصورة، ضمانا للفهم والإفهام، وبهذا الطرح الذي تقدمه التداولية، يظهر أنها قد تكون مدخلا مناسبا لدراسة التراث البلاغي العربي، لما توفره من آليات في الكشف عن المعنى ومكنوناته، ثم إن اتساع مجال البحث في التداولية نتيجة تعدد المشارب التي تستمد منها، جعلها درسا لغويا غزيرا وحيويا، يمد الدراسات اللغوية والمعرفية بعدد من الأفكار المفاهيم والرؤى الجديدة، التي يستضيء بها الباحثون في دراساتهم، ويصلون من خلالها إلى نتائج قيّمة[1].

كما تجدر الإشارة إلى أن الدرس التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل وليس بمعزل عنه، لأن اللغة لا تؤذي وظائفها إلا فيه فليست وظائف مجردة، وبما أن الكلام يحدث في سياقات اجتماعية فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز، ومراعاة السياق ودراسته من جانب أو تحليله في ذهن المرسل من جانب آخر، ذلك ليس بالأمر اليسير لأهميته ودقته، لذلك يعتقد "كارناب" أن التداولية هي قاعدة اللسانيات لتقاطعهما في العديد من المعطيات والمسائل[2]، تسمى التداولية إلى أن تكون مندمجة في اللسانيات لا كتكملة لها بل كجزء لا يتجزأ منها[3].

مما سبق نخلص إلى أن للتداولية أهمية كبيرة على الدرس اللغوي؛ حيث دعت إلى العناية بالظروف المحيطة عند استعمال اللغة، كما أنها اهتمت بالخطاب والعناصر المكونة له.

سادسا: وظائف التداولية:

إن الاتصال عملية اجتماعية لا يمكن للمجتمع العيش بدونها، وهذه العملية لا تتم إلا باللغة، وفكرة تعدد وظائف اللغة ليست جديدة فلا يمكن القول بأن التداولية كانت سابقة لفكرة تعدد هذه الوظائف، ولعد هذه الأخيرة نتطرق أولا إلى:

[1] – باديس لهويمل، نور الهدى حسني: مداخل اللسانيات التداولية في الخطاب البلاغي متابعة بلاغية، ص: 44.

[2] – خلف الله بن علي: التداولية مقدمة عامة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مج 14، دب، ع1، 2015، ص: 226.

[3] – آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم عالم جديد للتواصل، ص: 47.

1- مفهوم الوظائف التداولية:

الوظائف التداولية هي التي تقوم بتحديد الوضع التخابري للمكونات الواردة في مقتم تواصلي معين؛ حيث تخضع في إقامتها لأجزاء المعلومات التداولية من جهة، وللطرق التي تستعمل بها العبارة اللغوية في التفاعل الكلامي من جهة أخرى.

فترتبط الوظائف التداولية ارتباطا وثيقا بالسياق في بعديه المقامي والمقالي، وخاصة بعلاقة التخابر التي تقوم بين المتخاطبين في موقف تواصلي معين، ويتعلق إسناد هذه الوظائف بكم ونوعية المعلومات التي يعتقد المتكلم أنها متوافرة في مخزون المخاطب في عملية التخاطب[1].

2- الوظائف التداولية:

تتضمن التداولية نوعان من الوظائف داخلية وخارجية:

2-1- الوظيفتان الداخليتان:

وهما الوظيفتان اللتان تسندان إلى مكونات تنتمي إلى الجمل (موضوعات المحمول ولواحقه) وتتمثلان في البؤرة والمحور.

2-1-1- وظيفة البؤرة:

ورد في تعريف "سيمون ديك Simon Dick " الذي يقوم أساسا على فكرة أن وظيفة البؤرة تسند إلى المكون (الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة)[2]، حيث تتميز هذه الوظيفة هي الأخرى ببؤرتين اثنتين: "بؤرة الجديد" و"بؤرة المقابلة"؛ فبؤرة الجديد هي الوظيفة التداولية التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة الجديدة بالنسبة للمتكلم (في حالة الاستفهام) أو للمخاطب (في حالة الإخبار)، وبؤرة المقابلة هي الوظيفة التداولية التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة المتردد في ورودها أو المنكر ورودها[3].

---

[1] – ينظر: يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص: 108/ 111.

[2] – أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص: 28.

[3] – أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010، ص: 255.

2-1-2- وظيفة المحور:

ورد في تعريف "سيمون ديك" المتصرف فيه أن: وظيفة المحور تسند إلى المكون الدال على ما يشكل "المحدث عنه" داخل الحمل[1]. وبتعبير آخر لـ"دايك": المحور هو الذات (بالمعنى الواسع) التي تشكل محط خطاب ما، أو الذات التي تتشكل موضوع حمولة المعلومات الواردة في خطاب ما، أو الذات التي يحمل عليها شيء ما في مقام معين أو كما يقول "دايك"، أو الذات التي تدل على ما يشكل محط الحديث داخل الحمل[2].

2-2- الوظائف الخارجية:

وهي الوظائف المسندة إلى المكونات التي تنتمي إلى الحمل وبمعنى آخر لا تعد موضوعا من موضوعات الحمل ولا تدخل في القوة الإنجازية له كـ"المبتدأ"، والذيل، والمنادى.

2-2-1- وظيفة المبتدأ:

يختلف المبتدأ كوظيفة تركيبية عن المبتدأ كوظيفة تداولية، فالمبتدأ كوظيفة تركيبية هو:« الاسم المجرد للإسناد نحو قولك"زيد مُنطلق"، والمراد بالتجريد إخلاءه من العوامل التي هي "كان"، و"إن"، و"حبست" وأخواتها»[3]، ويعرف في اللغات الطبيعية بوجه عام بأنه «المكون الدال على مجال الخطاب الذي يعد بالنسبة إليه الحمل الذي يليه واردا»[4]. أما كوظيفية تداولية هو ما يحدد مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل بالنسبة إليه واردا، وعليه يكون المبتدأ كوظيفة تداولية هو ما يمثل مجال الخطاب، حيث يشترط فيه من الناحية الوظيفية شرطان أساسيان هما: الصدارة والإحالة[5]. فغياب هذين الشرطين يغيب وظيفة المبتدأ.

---

[1] – أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 69.

[2] – يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص: 115.

[3] – صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي: شروح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتنمية، تح عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، ج1، بيروت، لبنان، دط، دت، 225.

[4] – أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، ص: 245.

[5] – ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 115.

2-2-2- وظيفة الذيل:

يرى "دايك" أن الذيل يحمل المعلومة التي توضح معلومة داخل الحمل أو تعدلها، ويبرهن "المتوكّل" على قصور هذا التعريف مستبدلا إياه بالتعريف التالي: يحمل الذيل المعلومة التي توضع معلومة داخل الحمل أو تصحيحا[1]. وتبعا لهذا التمييز يقترح ثلاث أنواع من الذيول[2]:

- ذيل التوضيح.
- ذيل التعديل.
- ذيل التصحيح.

ففي النحو الوظيفي الذيل وظيفة تداولية شأنها شأن " المبتدأ"، "البؤرة"، "المحور"، فكون الذيل وظيفة خارجية لا يمنعه من حمل الوظيفتين التركيبية والدلالية[3].

2-2-3- وظيفة المنادى:

عرفها "المتوكل" كما يلي:« المنادى وظيفة تسند إلى المكون الدال على الكائن المنادى في مقام معين»، يتضح من هذا التعريف أن المنادى وظيفة تداولية مرتبطة بالمقام تسند إلى أحد مكونات الجملة، تمايز النداء كفعل لغوي يحدد جهة الجملة، ويلجأ المتكلم إلى استعماله كلما شعر أن مخاطبه شارد عنه أو في حاجة إلى تنبيه حتى يدخل معه في تفاعل كلامي متماسك[4]، فوظيفة المنادى وظيفة تداولية تؤاسر المبتدأ، والذيل، والبؤرة، والمحور، فإسنادها كإسناد هذه الوظائف الأربعة مرتبط بالمقام[5].

وعليه فإن الوظائف التداولية هي أساس تميز النحو الوظيفي عن غيره من الأنحاء الأخرى، لأنه يأخذ بعين الاعتبار كل الظروف المحيطة بعملية التلفظ، حيث رأى "أحمد المتوكل" بأن تقبل الوظائف التداولية لا يعني رفض النحو العربي القديم.

---

[1] - يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية، ص: 119.

[2] - أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 119.

[3] - أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 145.

[4] - يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية، ص: 121.

[5] - أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص: 161.

سابعا: مفهوم الخطاب:

عرف هذا المصطلح اضطرابا لارتباطه بتصورات مختلفة للغة، انعكست على تحديد مفهومه، فهو يمثل كل ما هو منطوق أو مكتوب يوجهه المتكلم إلى المتلقي قصد إفهامه أو إيصال مبتغاه باستعمال علامات لغوية وغير لغوية، فهناك من يربطه بالنص وهناك من يربطه بالملفوظ ...إلخ، ولهذه الأسباب اختلفت تعاريف الخطاب فنجده:

1- تعريف الخطاب:

1-1- لغة:

الخطاب متعدد المعاني المعجمية، حيث ورد الجدر (خ، ط، ب) في لسان العرب بمعنى:« خطب: الخطب: الشأن أو الأمر صغر أو عظم، وقيل هو سبب الأمر، ويقال ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ وتقول هذا خطب جليل وخطب يسير، والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال...، والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطب بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان»[1].

وجاء في أساس البلاغة (خ، ط، ب) بمعنى:«خطب: خاطبه أحسن خطاب وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، واختطب القوم فلان: دعوه أن يخطب إليهم ومن المجاز فلان يخطب عمل كذا: يطلبه، وما خطبك: ما شأنك الذي تخطبه»[2]. وجاء في معجم الوسيط الخطاب:« خاطبه مخاطبة وخطابا أي كلمه، وحادثه، ووجه إليه كلاما، والخطاب الكلام»[3].

1-2- التوظيف القرآني:

ورد لفظ الخطاب في القرآن الكريم في عدة مواضع نذكر منها: قوله تعالى:﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا 37 ﴾[4]، لقد ورد في هذه الآية لفظ الخطاب

[1] – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مج2، ج14، بيروت، لبنان، دط، 1999، ص: 1194.

[2] – الزمخشري: أساس البلاغة، ص: 255.

[3] – مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، ص: 243.

[4] – سورة النبأ، الآية 37.

بصيغة الأمر. وقوله جل وعلا: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا 63 ﴾[1]، وكذلك قوله:﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ 27﴾[2]، أما في هاتين الآيتين الكريمتين قد ورد بصيغة الفعل. وقوله جل وعلا:﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ 20﴾[3]، وفي هذه الآية ورد:«فصل الخطاب»، الذي فسره بعض المفسرين على انه الحكم بالبينة، وفُسِّر بأنه الفصل بين الحق والباطل، والملاحظ أن معنى الخطاب واحد في كل من المعاجم والقرآن الكريم.

1-3- اصطلاحا:

ورد لفظ الخطاب مقترنا بالعديد من الميادين وعليه قد وردت العديد من التعريفات المتفاوتة عند كل من العرب والغرب:

1-2-1- عند العرب:

عُرف الخطاب عند النحاة بأنه:« ينحصر في ناحيته الشكلية، بدلالة الاهتمام بتصنيف الأداة اللغوية المستعملة التي تشير إلى طرفه الآخر»[4]، ويؤكد هذا الحكم، ما يذهب إليه النحاة عد تصنيف الضمائر المتصلة والمنفصلة، بحديثهم عن الكاف التي تلحق اسم الإشارة (ذا) مثل: ذلك، ذلكم، ذلكين، إذ «تختلف حركات هذه الكاف ليكون ذلك أمارة على اختلاف أحوال المخاطَب من التذكير والتأنيث، وتلحقه علامة تدل على عدد من المخاطبين، ويوضح لك ذلك نعت اسم الإشارة ونداء المخاطب»[5].

عند الأصوليين ورد الخطاب وكان لهم الأرضية التي استقامت أعمالهم عليها، حيث ترددت كثير من اشتقاقات مادة (خطب) في مواضع متعددة، ومن أدلة ذلك إيرادهم لإسم الفاعل (مُخَاطِب)، ولإسم المفعول (مُخَاطَب) بوصفها طرفي الخطاب.

---

[1] – سورة الفرقان، الآية 63.

[2] – سورة المؤمنون، الآية27.

[3] – سورة ص، الآية 20.

[4] – عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004، ص: 35.

[5] – المرجع نفسه، ص: 36

أما "الآمدي" والجويني فكانت لهما رؤيتان متقاربتان فيما متقاربتان فيما يخص تعريفهما للخطاب، فيراه الأول:«اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه»، ويرى الثاني بقوله إن: «الكلام، والخطاب والتكلّم، والتخاطب، والنطق، واحد في حقيقة اللغة، وهو ما به يصير الحي متكلما»[1].

وعرفه "عبد المالك مرتاض" على أنه:«نسيج من الألفاظ، والنسيج مظهر من النظام الكلامي الذي يتخذ له خصائص لسانية تميزه عن سواه».

وبتعريف "أحمد المتوكل" هو:« كل ملفوظ مكتوب، بشكل وحدة تواصلية قائمة الذات»[2].

إذن فقد اختلف تحديد مفهوم الخطاب عند علماء العرب.

1-2-2- عند الغرب:

عرف "هاريس Harris" الخطاب الذي كان هو الأسبق إلى وضع تعريف له بإجماع الدارسين بقوله:« الخطاب ملفوظ طويل أو عبارة عن متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا في مجال لساني محض»[3].

ويعرف "جون ديبو Jhon Debow" الخطاب بأنه:« اللغة أثناء استعمالها أنها اللسان المسند إلى الذات المتكلمة، فهو بذلك مرادف للكلام بالمفهوم السويسري»[4].

بينما تعرف "سارة ميلز" الخطاب بأنه:«اتصال لفظي، كلام محادثة...معالجة شكلية لموضوع ما شفويا أو كتابيا...، وحدة نصية يستعملها المختصون في مجال الألسنة لتحليل الظواهر الألسنية التي تفوق الجملة الواحدة، وهذا ما يؤكده "آن روبول" و"جاك موشلار" الخطاب صنف ليس محدد علميا»[5].

وبتعريف آخر: إن مصطلح الخطاب من حيث معناه العام المتداول في تحليل الخطابات يحيل على نوع من التناول للغة، أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدد، فاللغة في الخطابات لا تعد بنية اعتباطية بل نشاطا للأفراد مندرجين في

[1] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 36.

[2] – أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان، دب، ط1، 2010، ص: 24.

[3] – سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي النص والسياق، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2001، ص: 17.

[4] – عمر بلخير: مقالات في التداولية والخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، دط، 2013، ص: 9/ 10.

[5] – نعيمة سعدية: لسانيات النص والخطاب الشعري دراسة في شعر محمد الماغوط، دار الوسام العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2015، ص:187.

سياقات معينة، والخطاب بهذا المعنى لا يحتمل صيغة الجمع: يقال (الخطاب) و(مجال الخطاب)..إلخ، وبما أنه يفترض تمفصل اللغة مع معايير غير لغوية، فإن الخطاب لا يمكن أن يكون موضوع تناول لساني صرف[1].

لاسيما أن الخطاب يعتبر ثمرة اجتماع عناصر العملية التواصلية (المتكلم، المخاطب، السياق، الرسالة)، ففيه تبرز الأدوات اللغوية والآليات الخطابية المنتقاة، ومن خلال تتبع خصائصه التعبيرية يمكن معرفة الكيفية التي يتعامل بها المتكلم مع ذاته ومع المخاطب[2]، وبالتالي فالخطاب يعد مجلا خصبا للبحوث اللغوية الحديثة، لارتباطه الوطيد بالعملية التواصلية بين المتكلم والمخاطب.

كما يعرفه "ميشال فوكوه Michel Foucoult" في محاضراته "نظام الخطاب"، أن الخطاب شبكة معقدة من النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي تنتج فيها الكلام بوصفه خطابا[3]. فميشال فوكوه قد تشعب فيما يخص الخطاب و بالتحديد تحليل الخطاب .

- **مفهوم الخطاب القرآني:**

إن الخطاب القرآني هو «كلام من الله موجها في معظمه إلى من شهدوا نزول القرآن الكريم بشكل خاص، مباشر للرسول صلى الله عليه وسلم، وبشكل عام إلى سائر الناس فقال تعالى:« لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون»»[4].

كما أن الخطاب القرآني إلهي معجز، ومن تم يمتلك من الأدوات ما يجعله مؤهلا ـ وبشكل دائم ـ لأن يكون من أهم الوسائل التعبيرية التواصلية القادرة على استيعاب الأنساق الحضارية، إنه رسالة ربانية لكل الناس دون تحيز، أو طائفية، أو جغرافية معينة، فهو خطاب هداية وفير، وهذه الخيرية لم تكن فيه امتيازا لطبقة أو طائفة أخرى، بل جاءت عامة ...ينهم بها كل بني البشر.

[1] – ينظر: دزمينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر محمد يحياتي، دار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2008، ص: 38.

[2] – يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات الاتصال اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص: 2.

[3] – نعمان عبد الحميد بوقرة: الخطاب والنظرية والإجراء، دار جامعة الملك سعود، دب، دط، 1957، ص: 21.

[4] –خالف دار ملك: الخطاب القرآني وأنواعه دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البيع والبيان والمعاني، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ع22، 2015، ص: 60.

فالخطاب القرآني رسالة إبلاغية ربانية عالمية لكل الناس، إضافة لكونه وحدة بنيوية خاصة، فهو نظام فكري لغوي، يمتاز بـ (الاتساق، الترابط الشكلي) و(الانسجام، الترابط المعنوي) فلا يدانيه أي خطاب آخر في نظم داوله ودقة مدلولاته، وتأليف وتناسق عباراته، إنه خطاب يخاطب العقول ويناجي القلوب، ويحمل مضامين تفصح عن مراد الله في توجيه حياة الناس[1].

- **علاقة الخطاب بالنص:**

إن العلاقة بين الخطاب والنص ليست علاقة مباشرة كليا، لأن العلاقة بين الخطاب والنص هي علاقة انبثاق، فالخطاب يظهر في النصوص ومن خلالها، إنه "نص محكوم بوحدة كلية واضحة يتألف من صيغ تعبيرية متوالية، تصدر عن متحدث فرد يبلغ رسالة ما" والمنتج حينها لا يفكر في القاعدة، لأن اللغة كامنة وحية فيه قبل القاعدة؛ أي لحظة إنتاجه، كما أنه لا يهم أن ينتج خطابا أو نصا، ولا على أي قاعدة، فالقاعدة تسكن روحه ويحيا بها، ومستقلة عنه لكنه يخضع إلى ميكانيزمات التوحد والحلول، لأن هذا المنتج، بالنسبة له هو مجرد انتقاء معين من لغة توضع وتركب وتوزع في لغة ذات خصوصية...، فالخطاب مفهوم سابق للنص من حيث كونه يحوي ظروف الإنتاج وعناصر الإرسال في طياته، كما أنه يمثل الأرضية والخلفية المعرفية والظروف الإنتاجية كملفوظ ظاهر، بارز، مرفوع منها وعنها، فتجعلها مظهرا شفويا في حين يمثل النص المظهر الكتاب له، تدفعه من جديد إلى أن يكون كخطاب محقق إثبات عناصره التواصلية: المرسل، المرسل إليه، كحالة آنية وقعت في زمانها ومكانها، بينما النص ليس كذلك، ولا يتسنى له أبدا كمظهر كتابي لاحق أن يضمن إثبات مثل هذه العناصر.

وهو ما يدفع للتساؤل: ما الذي يتغير عندما نكتب بدلا من أن نتكلم؟ ليظهر اتجاه يميز النص عن الخطاب بناء على حالتي النطق والكتابة، فيرتقي الخطاب المنطوق إذا سكن حسد الكتابة إلى النص.

[1] – لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني "قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين"، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2014، ص: 93 / 95.

2- استراتيجيات الخطاب:

2-أ- مفهوم استراتيجيات الخطاب:

يتشكل الخطاب بتنوع وتباين آثاره وعناصره، وينعكس هذا التنوع وذلك التباين على تكوين الخطاب عندما ينتجه المرسل، مما يتبع تنوعا في أشكال الخطابات لغويا، هذا التنوع نتيجة لعملية حدثت عبر مساق ممتد بين التنوع السياقي والتشكل اللغوي؛ إذ تمثل هذه العملية "استراتيجية الخطاب" هذه الأخيرة التي ينتج فيها المرسل خطابه معتمدا استراتيجية معينة، استراتيجيات الخطاب مصطلح مؤلف من لفظين هما: الإستراتيجية والخطاب فلا خطاب دون استراتيجية معينة تحدده[1]، كما أن الاستراتيجيات ذات جانبان عقلي ذهني متعلق بالخطط الذهنية ومادي إجرائي متعلق بتنفيذ بعض تلك الخطط[2].

2-ب- أنواع استراتيجيات الخطاب:

ب1- الإستراتيجية التضامنية:

الإستراتيجية التضامنية تهدف إلى تقريب المسافات بين كل من المرسل والمتلقي، ولقد وردت بتسميات عديدة منها: ما اصطلحه "براون Brown " و"جيلمان" التضامن، و "ليفنسون" البعد، و"ليتش" البعد الاجتماعي، وذلك للتفاوت في تحديدي مفهومهما واختلاف طرحهم حولها، وتعدد الرؤى بصدد ما يحيط بها من آثارها بيد أن المفهوم الذي يقصدونه واحدا، وتتحدد الإستراتيجية التضامنية في محاولة من المرسل أن يجسد علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالا فهي محاولة التقرب من المرسل إليه وتقريبه، وتعنى هذه الإستراتيجية بالتعامل الأخلاقي[3].

- **مسوغات الإستراتيجية التضامنية:**

لإستراتيجية التضامنية مسوغات كثيرة منها[4]:

- تأسيس الصداقة بين طرفي الخطاب.

---

[1] - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 52.

[2] - ينظر: جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، النادي الأدبي بالرياض، المركز الأدبي الثقافي العربي بالمغرب، ط1، 2009، ص: 73.

[3] - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 259.

[4] - ينظر: المرجع السابق، ص: 261/ 262.

- التركيز على حسن التعامل مع صاحب السلطة.
- تحسين صورة المرسل أمام الآخرين إذا كان معروفا بالتشدد.
- تفعيل التضامن في حياة الناس.
- استثمار استراتيجيات التضامن في التحقيقات.
- استعمال الإستراتيجية التضامنية عند الاستعداد لخدمة الآخرين، إذ يعز المرسل بذلك الصداقة والحميمية مع الآخرين.

ب-2- الإستراتيجية التوجيهية:

تعد من الاستراتيجيات الخطابية التي يختارها المرسل لاعتبارات يفرضها المقام والسياق، والعلاقة بين طرفي الخطاب كذلك، وتعرف الإستراتيجية التوجيهية بأنها: « الإستراتيجية التي يرغب المرسل بها تقديم توجيهات ونصائح، وأوامر، ونواه يفترض أنها لصالح المخاطب أو المرسل إليه، ولا يعد التوجيه هنا فعلا لغويا وحسب، وإنما يعد وظيفة من وظائف اللغة التي تعنى بالعلاقات الشخصية حسب تصنيف "هاليداي Halidi"؛ إذ أن اللغة تعمل على أنها تعبير عن سلوك المرسل، وتأثيره في توجيهات المرسل إليه وسلوكه»[1].

- **مسوغات الإستراتيجية التوجيهية:**

تعددت مسوغات هذه الإستراتيجية فمنها:

- عدم التشابه في عدد من السمات مثل: السمة المعرفية الطالب/ الأستاذ.
- عدم وجود تكرار في الاتصال بين طرفي الخطاب.
- الشعور بالتفاوت في مستوى التفكير بين طرفي الخطاب مما يؤثر في فهم كل منهما لطبيعة الآخر.
- تهميش ما قد يحدثه استعمال هذه الإستراتيجية من أثر عاطفي سلبي على المرسل إليه.
- تصحيح العلاقة بين طرفي الخطاب غير المتكافئين في المرتبة.
- رغبة المرسل في الاستعلاء أو الارتفاع بمنزلته الذاتية وقد يتضح ذلك في خطاب المظلوم.
- إصرار المرسل على تنفيذ قصده عند انجاز الفعل وعلى حصول أقصى مقتضى خطابي.
- حصول تحد واضح للمرسل أو لتعليماته أو تحد ضد الأنظمة والتعليمات العامة.

[1] - إدريس مقبول: الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج8، ع15، 2014، ص: 549.

- مناسبة السياق التفاعلي لاستعمال التوجيهية بين الطبيب والمريض مثلا.

ب-3- الإستراتيجية التلميحية:

الإستراتيجية التلميحية هي تلك الإستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي لينجز أكثر مما يقوله؛ إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي للخطاب، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق، حيث تعتمد هذه الإستراتيجية على استخدام الأقوال المضمرة والضمنية في الخطاب والتي تحتاج إلى تأويلها من طرف المتلقي، وذلك باعتماده على السياق والافتراضات المسبقة التي يعلمها كل طرف في الخطاب.

- **مسوغات الإستراتيجية التلميحية:**

ومنها:

- التأدب في الخطاب وهو من أهم الأسباب، إذ يستعملها المرسل مراعاة لما تقتضيه بعض الأبعاد.
- إعلاء المرسل لذاته على حساب الآخرين وإضفاء التفوق عليها.
- رغبة المرسل أحيانا في التملص والتهرب من مسؤولية الخطاب كما يقول "براون" و"ليفنسون".
- يستعمل المرسل هذه الإستراتيجية لئلا يتحد المرسل إليه خطابه دليلا عليه وذلك استجابة للخوف.
- العدول عن محاولة إكراه المرسل إليه أو إحراجه لانجاز فعل قد يكون غير راغب في انجازه.
- الاستغناء عن إنتاج عدد من الخطابات والاكتفاء بإنتاج خطاب واحد ليؤدي معنيين، هما المعنى الحرفي والمعنى المستلزم في الآن نفسه.

ب-4- استراتيجية الإقناع:

تعتبر استراتيجية الإقناع فعلا تداوليا خالصا يقوم في أساسه على معيار هدف الخطاب، حيث تستعمل استراتيجية الإقناع من أجل تحقيق أهداف المرسل النفعية بالرغم من تفاوتها تبعا لتفاوت مجالات الخطاب أو حقوله.

- **مسوغات إستراتيجية الإقناع:**

تعددت مسوغات إستراتيجية الإقناع، فمنها:

- أن تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى ونتائجها أثبت وديمومتها أبقى.
- تمايزها من الاستراتيجيات المتاحة الأخرى، مثل الإستراتيجية الإكراهية.
- الأخذ بتنامي الخطاب بين طرفيه عن طريق استعمال الحجاج.
- الرغبة في تحصيل الإقناع.
- إبداع السلطة، فالإقناع سلطة عند المرسل في خطابه، ولكنها سلطة مقبولة إذا استطاعت أن تقنع المرسل إليه.
- شمولية إستراتيجية الإقناع إذ تمارس على جميع الأصعدة.
- تحقيق نتائج تربوية، إذ تستعمل كثيرا في الدعوة، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا عند إقناع الرجل الأعرابي الذي طلب رخصة لارتكاب الزنا.
- استباق عدم تسليم المرسل إليه بنتائج المرسل أو دعواه خشية سوء تأويل الخطاب.
- عدم الاتفاق حول قيمة معينة، أو التسليم من أحد طرفي الخطاب للآخر.

ثامنا– الأبعاد التداولية:

1– نظرية أفعال الكلام:

ولدت نظرية أفعال الكلام في رحاب الفلسفة التحليلية، التي مهد لها الفيلسوف الألماني "غوتلوف فريجه" وعمقها "فيتغنشتاين" في كتابه "بحوث فلسفية"، وفكرته الأساسية "ألعاب الكلام" واستحالة الفصل بين الدلالة والتركيب والتداول، إلا أن الفيلسوف الأمريكي "جون أوستين" يعد من الأوائل الذين نظروا وأسسوا لهذه النظرية التي انطلقت عنده من طرح فلسفي.

حيث إنه يرى أن قول شيء ما هو دوما إثبات شيء ما، أي أن دور اللغة يقتصر على الإخبار عن العالم، والقضايا النافعة هي التي تقبل الصدق والكذب، وما عداها ليس سوى أحكام خالية من المعنى[1].

1-1- مفهوم الفعل الكلامي:

أضحى مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أنه كل فعل كلامي ينهض على نظام شكلي ودلالي، فضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا ونحويا يستهدف تحقيق أقوال كلامية وأهداف تكلمية كالطلب، والأمر، والوعد، والوعيد...، وأهداف تكليمية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول[2].

1-2- عند الغرب:

يرى "بنفنست" أن الفعل الكلامي هو تحريك اللغة بواسطة فعل فردي استعمالي[3]، ومن منظوره فإن الفعل الكلامي عبارة عن حدث فونولوجي، مورفولوجي، نحوي، ودلالي تحدده صيغة منطوقاتنا.

يقول "فان ديك":«تعد الأفعال الكلامية في الواقع وفق وصف مفهوم الحدث أحداثا....، فمن خلال إنتاج الأصوات نقوم في الوقت ذاته بأحداث فونولوجية ومورفولوجية ونحوية مركبة...، ونحصل أيضا على حدث ذي نظام أعلى نقيمه من خلال الحدث الكلامي، وهو حدث معنوي أو حدث دلالي»[4].فلا يكاد يختلف تعريفه عن المفهوم الذي قدمه بنفنست.

ويقر "دومينك مانغونو" بأن الفعل الكلامي هو:«...المقصود به الوحدة الصغرى التي بفضلها نحقق اللغة فعلا بعينه(أمر، طلب، تصريح، وعد...)، غايته تغيير حال المتخاطبين، إذ المتلفظ المشارك لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلا إذا اعترف بالطابع القصدي لفعل المتلقي»[5]. والفعل الكلامي أقوال غير وصفية لا يمكن أن نسند

[1] – عطيات أبو السعود: الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، شركة الجلال، الإسكندرية، ط1، 2002، ص: 99.

[2] – نصيرة عماري: نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلة اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، الجزائر، ع17، 2006، ص: 80/ 81.

[3] – ينظر: كاترين أوركيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، تر محمد نظيف، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2007، ص: 40.

[4] – ينظر: جون أ وفان ديك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001، ص: 131.

[5] – دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص: 07.

إليها أي قيمة صدقية، والتي لها طبيعة إنجازية؛ أي الأقوال التي يمتزج فيها القول بالفعل[1]. و تنقسم إلى أنواع صنفها العلماء إلى أصناف مختلفة، وتعددت التصنيفات واختلفت نظرا لاختلاف وجهات نظر العلماء اللغويين، واتجاهات الفلسفية، وهنا نقتصر على ذكر تصنيف كل من "أوستين" و"سيرل" لأفعال الكلام كما يلي:

- تصنيف أوستين:

تضمنت نظرية "أوستين" على فكرة الإنجازية والتي تؤدي أفعالا مثل: الوعد، التحذير، ...إلخ، ويحكم عليها بمعيار الفشل والنجاح. فقام "أوستين" بالتمييز بين العبارة الإنجازية والعبارات غير الإنجازية (الوصفية)[2].

يشير "أوستين إلى أن:« قول شيء ما على وجه مخصوص هو إنجازه، من أمثلة العبارات الوصفية التي تصف إحساسات: أعتذر، إني متأسف...إلخ، أما العبارات الإنجازية: أدعم رأي، أتنبأ، أتوقع...، وشروط العبارات الإنجازية هو ملاءمتها للواقع الإنجاز الحقيقي»[3].

كما يصنف "أوستين" أفعال الكلام إلى ثلاثة أصناف هي:

- فعل القول:

وهو إطلاق الألفاظ على صورة جملة مفيدة ذات بناء نحوي سليم مع تحديد ما لها من معنى ومشار إليه، وهذا الفعل يقع دائما مع كل قول، لكنه وإن أعطى معنى ذلك القول فإنه لا يزال غير كاف لإدراكنا أبعاد هذا القول، مثلا قولنا: (إنها ستمطر) فتحتمل الجملة أوجها عدة فإنها تكون خبرا بأنها ستمطر، أو تحذيرا، أو أمر بحمل المظلة[4].

- الفعل المتضمن في القول:

[1] – ينظر: ابتسام بن حزاف: أفعال الكلام في قضية كليم الرحمن موسى عليه السلام، مجلة الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع12، ص: 344.

[2] – ينظر: خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية، ص24.

[3] – أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام؟، تر عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، دب، دط، 1991، ص: 100.

[4] – طالب هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، دط، 1994، ص: 08.

وهو عبارة عن سؤال وجواب، إصدار، تحذير، تقديم معلومات...، ويشمل هذا الفعل عن القوة الإنجازية، فتكون بذلك الجملة لها قوة الخبر في موضع، ولها قوة التحذير في موضع آخر[1].

- الفعل الناتج عن القول:

وهو عبارة عن قيام الفاعل بالتسبب في نشوء آثار في مشاعر أفكار أو أفعال المتكلم على نحو يتعمد المتكلم إيجاده، نحو الإقناع، التضليل....؛ بمعنى أنه يمثل الأثر الذي يحدثه الكلام في المتلقي، ويختلف نوع هذا الأثر حسب سياق الكلام[2].

- تصنيف "جون سيرل":

تبنى "سيرل" فكرة أستاذه وحاول تطوير نظرية أفعال الكلام ووضع أسس لها ومنهجيتها، فعدت بذلك نظريته المرحلة الأساسية لمرحلة "أوستين" الإنطلاقية، وقام بإضافة الفعل القضوي (الإحالي والجمالي) إلى تقسيم "أوستين" فأصبح كما يلي[3]:

- الفعل التلفظي: وهو التلفظ بجملة لسانية ذات قواعد صوتية وتركيبية صحيحة.
- الفعل القضوي: هو معادل للفعل الدلالي عند "أوستين" على اعتبار أنه كان يُعرف بالفعل الدلالي، وكان يشمل عنصر المعنى والإحالة، أصبح عند "سيرل" يشكل فعلا مستقلا يسمى الفعل القضوي، ويتضمن فعلي "الإحالة" و"الحمل".
- الفعل الإنجازي: كالاستفهام، والأمر، والنهي، والوعد.....إلخ
- الفعل التأثيري: وهو ذلك الفعل الذي يتركه المتكلم في المتلقي، وتكون درجة الإقناع بقد ما يقدمه المتكلم من أدلة وحجج.

[1] – المرجع السابق، ص: 08.

[2] – المرجع نفسه، ص: 09.

[3] – ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص: 98.

2-2- عند العرب:

وقد عرّف "مسعود صحراوي" الفعل الكلامي يعني: التصرف (أو العمل) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن تم فالفعل الكلامي يراد به الإنجاز الذي يؤدّيه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر، النهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة، ...، فهذه كلها أفعال كلامية[1].

يرى بعض الدارسين المحدثين أن العلماء العرب القدامى- على اختلاف تخصصاتهم اللغوية والنحوية والبلاغية والأصولية- قد كانوا على وعي كبير بالجانب التداولي الاستعمالي للغة؛ إذ أن دراسة هؤلاء العلماء لمعاني الكلام ضمن مباحث نظرية الخبر والإنشاء، واهتمامهم بالمقامات التخاطبية وأحوال ومقاصد المتخاطبين كل ذلك لا يختلف كثيرا عما تعرضه نظرية أفعال الكلام عند الغرب.

2-2-1- الأسلوب الخبري:

اختلف العلماء والدارسون حول معيار تصنيف الكلام إلى الأسلوب الخبري، فمنهم من رأى أن الكلام الخبري هو محتمل الصدق والكذب، ويتعلق صدقه وكذبه بمدى مطابقته للواقع، وهذا ما أكده "عبد السلام هارون" بقوله:«... ووجه الحصر في ذلك: أن الكلام إن احتمل الصدق والكذب لذاته، بحيث يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب سمي كلام خبري، والمراد بالسابق ما طابقت نسبة الكلام في الواقع، وبالكاذب ما لم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع»[2].

لكن من العلماء من رفض هذا الحصر للكلام الخبري ورأى أن الخبر يرجع إلى اعتقاد المتكلم وظنه، فإذا كان ظن المتكلم سابقا فإنه لا يتهم بالكذب وإن خالف الخبر الواقع، والرأي الراجح هو ما جمع بين الرأيين السابقين أي الجمع بين مطابقة الكلام للواقع واعتقاد المتكلم بالمطابقة[3].

وفي الخبر لابد أن يكون المخبر عنه حاملا للخبر ومتصفا به ومطابقا له في الواقع ويكون ذلك متفقا عليه عند جميع الناس، لهذا عرف الخبر بأنه:«ما يتحقق مدلوله في الخارج بدون النطق به نحو: العلم نافع، فقد أثبتنا

[1] - مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص: 10.

[2] - عبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، ط2، مصر، 1979، ص: 13.

[3] - آمنة لعور: الأفعال الكلامية في سورة الكهف دراسة تداولية، مذكرة ماجيستر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010، ص: 62.

صفة النفع للعلم، وتلك الصفة ثابتة له (سواء تلفظت بالجملة السابقة أم لم تتلفظ)، لأن نفع العلم أمر حاصل في الحقيقة والواقع»[1]، وينقسم الخبر انطلاقا من حال المتلقي إلى أقسام ثلاث هي[2]:

أ- الخبر الابتدائي: ويكون فيه المتلقي جاهلا للخبر

ب- الخبر الطلبي: ويكون فيه المتلقي للخبر شاكا في صحته.

ج-الخبر الإنكاري: ويكون فيه المتلقي منكر للخبر غير متقبل له، وللخبر مؤكدات متعددة منها: (إنّ، أنّ، لام الابتداء، ألا الاستفهامية، القسم، نونا التوكيد، قد، التكرار، أمّا، إنّما...)، ينتقي منها المتكلم ما يلاءم كلامه ويقوي خبره، ليتمكن من إقناع المتلقي لخبره.

2-2-3- الأسلوب الإنشائي:

إذا كان الأسلوب الخبري هو ما يحتمل الصدق والكذب، فإن الإنشاء عكس ذلك؛ أي أنه:« مالا يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب، وذلك لأن المتكلم بأساليب الإنشاء، إنما يعبر عن شعوره، فهو لا يلقي خبرا يحتمل الصدق أو الكذب»[3].

ويعود عدم احتماله للصدق والكذب إلى عدم وجود ما يطابقه في الواقع، يقول "عبد السلام هارون":«...لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، ولا يصح أن يقال لقائله، إنه صادق أو كاذب لعدم تحقق مدلوله الخارج، وتوقفه عن النطق به»[4]، وينقسم الأسلوب الإنشائي إلى قسمين:

الإنشاء الطلبي: وهو «ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل حاصل»[5]؛ أي أن المتكلم في هذه الحال يطلب تحصيل شيء لم يحصل لمانع ما، وللإنشاء الطلبي صيغ عدة: نداء، نهي، أمر، تمني، استفهام

الإنشاء غير الطلبي: وفيه لا يطلب من المخاطب أن يؤدي شيئا معينا، وإنما يقتصر المخاطب على التعبير عن انفعالاته، وبصيغه العديدة وهي: التعجب، المدح، الدم، القسم، والرجاء[1]. وعليه نستنتج أن دراسة الأساليب الإنشائية عند العرب، تعد مظهرا من مظاهر نظرية الأفعال الكلامية الحديثة استنادا إلى آراء الباحثين اللغويين.

---

[1] – أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، تح أحمد جاد، دار العهد الجديد، ط1، القاهرة، 2014، ص: 51.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 54.

[3] – محمد علي سلطاني: المختار من علوم البلاغة والعروض، دار العصماء، دمشق، سوريا،ط1، 2008، ص: 29.

[4] – عبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص: 13.

[5] – أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة (البيان، المعاني، والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1993، ص: 61

ومن هنا نستنتج أن الأفعال الكلامية حقلا من حقول التداولية، وحتى إن توسعت الدراسات التداولية وتفرعت منها نظريات عدة، فإن نظرية أفعال الكلام من أهم الركائز الأساسية التي تنبني عليها التداولية بوصفها تيارا لسانيا، يبحث في القدرة التواصلية للمتكلم والمتلقي.

2- الحجاج:

يعد الحجاج ميدانا واسعا للبحث والدراسة، فهو مجال غني من مجالات التداولية؛ حيث يشترك مع العديد من العلوم الأخرى[2]، كما يعرف الحجاج عادة بكونه جهدا اقناعيا، ويعتبر البعد الحجاجي بعدا جوهريا في اللغة، لأن الخطاب يسعى دائما أن يقنع كل من يتوجه إليه[3].

وهو كذلك ظاهرة لغوية نجدها في كل خطاب كما نجدها في الأسماء والأفعال والظروف والحروف، نجدها في كل ظواهر اللغة وهو مجال مهم من مجالات التداولية التي تعني عند "بريل مان" "العلم وموضوعه" ومؤداها درس تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليه من أطروحات وأن تزيد التسليم محاولة إذعان الذهن بما يطرح عليه من أفكار[4].

2-1- الحجاج عند الغرب:

اعتنى علماء الغرب القدماء بالنظرية البلاغية الحجاجية، وجعلوا الفنيات الخطابية محور دراستهم، مركزين على خاصيتي الإقناع والجدال، حيث ربط بعضهم الحجاج بمفوه الإقناع، وربطه بعضهم الآخر بالجدال، حيث برز قديما بلاغة الحجاج عند "أرسطو" في كتابه "الخطابة" من زاويتين متقابلتين، من زاوية بلاغية وزاوية جدلية، فمن الجانب البلاغي يربط الحجاج بخصائص الإقناع، وأما الجانب الجدلي يعدّ الحجاج عملية ذهنية في بنية حوارية، تنطلق من المقدمات لتنتهي بالنتائج، فهاتان النظريتان المتقابلتان تتكاملان في مفهوم "أرسطو" الذي حدده للخطاب[5]. حيث قابل الحجاج بالإقناع.

---

[1] – أبو يعقوب محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، تح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص: 302-304.

[2] – ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص: 105.

[3] – حبيب أعراب: الحجاج والإستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، دب، ع1، 2001، ص: 99.

[4] – نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في اللسانيات وتحليل الخطاب، دار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص: 119.

[5] – ينظر: مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات الشقاق، بيروت، لبنان،ط1، 2015، ص: 20.

أما حديثا فنذكر مفهوم "شايم برلمان Chiaim Perlman" للحجاج حيث يقول:«هو دراسة التقنيات الخطابية التي من شانها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو تزيد في درجة التسليم»[1].

قام "برلمان" بتوسيع مجال الحجاج فجعله شاملا:«فكل المكونات الموجودة في رسالة ما (مكتوبة أو مقروءة أو مشاهدة أو حتى إشارية)»[2]، فتميز الحجاج في تصوير "برلمان" بخمسة ملاح هي[3]:

- أن يتوجه إلى مستمع، بمعنى أن هدفه إيصال الرسالة أو الأطروحة من المتكلم إلى السامع.
- أيعبر عنه بلغة طبيعية، أن يكون الكلام بلغة بسيطة وواضحة يفهمها.
- مسلماته لا تعدوا أن تكون احتمالية، فحججه ليست مطلقة قابلة للرفض أو القبول أو التغيير.
- لا يفتقر تقدمه – تناميه– إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة؛ أي لا تحتكم مسلماته (حجج، أدلة، وبراهين) إلى قواعد وضوابط منطقية تقيده.
- ليست نتائجه ملزمة، فالنتيجة المتوصل إليها ليست نهائية قطعية.

2-2- الحجاج عند العرب:

بقدر ما اهتمت الدراسات الغربية بالحجاج، فقد كان هناك اهتمام كبير في العالم العربي والإسلامي الذي احتضن الدرس البلاغي الحجاجي، فتناوله العلماء العرب قدماء ومحدثون باختلاف آراءهم ووجهات نظرهم، فنهم من وضعه في خانة الإقناع ومنهم من وضعه في خانة الجدل.

ورد مفهوم الحجاج قديما عند "أبو الوليد الباجي" مرادفا لمصطلح الجدل، فيعرف في مقدمة كتابه قائلا:«... أما بعد فإني لمّا رأيت بعض أهل عصرنا سنن المنظرة ناكبين، وعن سنن المجادلة عادلين، خائضين فيما لم يبلغه علمه، ولم يحصل لهم فهمه...، أرغمت على أن أجمع كتابا في الجدل يشتمل على مجمل أبوابه، وفروع أقسامه، وضروب أسئلته وأنواع أجوبته»[4]، أما حديثا فقد قدم "أبو بكر العزاوي" مفهوما للحجاج، فعده ظاهرة

[1] – ينظر: عبد الله صولا، في نظريات الحجاج دراسات وتطبيقات، دار مسكيل باني، تونس، ط1، 2011، ص: 299.

[2] – عبد الجليل العشراوي: آليات الحجاج القرآني دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، عالم الكتب الجديد، أربد، الأردن، ط1، 2016، ص: 279.

[3] – حافظ اسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الجديد، أربد، الأردن، ج1، ط1، 2016، ص: 182.

[4] – أبو الوليد الباجي: كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تح عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط3، 2001، ص: 20.

لغوية أدبية، نجدها في كل قول خاصة في النص الخطابي، بحيث ينتمي إلى عدة مجالات منها: الفلسفة، الدين، الاقتصاد، والسياسة...، كما نجده يهتم بالنص اللغوي وما يحتويه من أسماء وأفعال وصفات وظروف وحروف وتراكيب نحوية وصور بلاغية لتعتبر ظواهر لغوية عامة لها دور كبير في التأثير عند المتلقي.

ويقول في موضع آخر عن الحجاج على المستوى الخارجي أنه يوجد في:«القصدية ومقتضيات الحال، والشروط التواصلية والتفاعلية والمقام التخاطبي العام»[1].

3- الإشاريات:

لقد حمل مصطلح الإشاريات دلالات عديدة، فتنوعت وتعددت تعريفاته فهي عبارة عن علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها[2].

3-1- تعريفها:

فالإشاريات هي:«مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلة أو الزمن أو المكان، حيث ينجز الملفوظ والذي يرتبط بمعناه، من ذلك: الآن، هنا، هناك، أنا، أنت، هذا، هذه...، وهذه العناصر تلتقي في مفهوم التعيين، أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليها»[3].

ويعرفها "جورج يول" بكون:« التأشير مصطلح تقني، يستعمل لوصف إحدى أهم الأشياء التي تقوم بها في أثناء الكلام، والتأشير يعني الإشارة من خلال اللغة، ويطلق على أية صيغة لغوية تستعمل للقيام بهذه الإشارة مصطلح التعبير الإشاري»[4].

ويعرفها "عبد الهادي بن ظاهر الشهري" بأنها:« تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه»[5]، فالإشاريات

---

[1] – ينظر: أحسن مسليم الحجاج اللغوي قراءات في أعمال أبو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث، أربد عمان، ط1، 2018، ص: 39.

[2] – ينظر: حمادي مصطفى: تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني مقارنة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد، مجلة الأثر، جامعة الجلالي إلياس، سيدي بلعباس، الجزائر، ع26، 2016، ص: 64.

[3] – الأزهر الزناد: نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص: 116.

[4] – أمل مساعد سعد الأحمدي: الإشاريات في المقابسات لأبي حيان التوحيدي دراسة تداولية في نماذج مختارة، كلية الآداب، جامعة الملك سعيد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ع11، 2019، ص: 60.

[5] – عبد الهادي بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص: 81.

هي تلك الألفاظ والعبارات التي يستعين بها المخاطب في نسخ خطابه، والتي تشير إلى العلاقة بين المتخاطبين، وترسم لنا نوع من الخطاب ما إذا كان رسميا أم عاديا، ويندرج ضمن هذه الإشاريات الضمائر، وأسماء الإشارة وغيرها من الأدوات اللغوية التي تعطي للنص دوره التداولي[1].

3-2- أنواع الإشاريات:

وبحسب الدرس اللسانية فهي تنقسم إلى خمسة أقسام:

3-2-1- الإشاريات الشخصية:

وهي التي تحيل إلى المتكلم أو المخاطب أو الغائب، وعلى رأسها الضمائر، فهي في أي لغة تتصل اتصالا وثيقا بالذاتية؛ إذ تعبر عن الذاتية في اللغة، لذلك فإن استعمال كل جماعة لغوية لها يخضع لمجموعة من التعاقدات، ثم إن المتكلم بتلفظه بالضمير(أنا) يكون قد وضع أمامه، وبطريقة آلية شخصا يقابله هو (أنت)[2].

3-2-2- الإشاريات الزمانية:

وهي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم، فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فإذا لم يعرف زمان التكلم ومركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على القارئ، فقولك مثلا: بعد أسبوع، يختلف مرجعها إذا قلتها اليوم، أو قلتها بعد شهر، أو بعد سنة ، وكذلك إذا قلت نلتقي الساعة العاشرة صباحا أو مساءا من هذا اليوم أو من يوم يليه[3].

3-2-3- الإشاريات المكانية:

هي علامات تشير إلى مكان معين، يتلفظ بها المتكلم وهذه العلامات تحمل دلالات يريد أن يوصلها المتلفظ إلى السامع، فعند إدراك السامع لدلالة الخطاب تنجح عملية التواصل، وبهذا تكون الإشاريات المكنية هي:« عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص: 79.

[2] – أمل مساعد سعد الأحمدي: الإشاريات في المقابسات لأبي حيان التوحيدي، ص: 61.

[3] – محمد احمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 16/ 20.

آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا، أو بعد، أو وجهة»[1]. أي معرفة المتلقي لمكان الملقي وقت إلقاءه للخطاب.

3-2-4- الإشاريات الاجتماعية:

هي«ألفاظ تشير إلى العلاقات الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية، أو علاقة ألفة ومودة، والعلاقات الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل، وفي مخاطبة من هم أكبر سنا، ومقاما من التكلم نحو أنتم للمفرد المخاطب، ونحن للمفرد المعظم لنفسه، وهي تشمل الألقاب مثل: فخامة الرئيس، الإمام الأكبر، جلالة الملك، سمو الأمير، أما الاستعمال غير الرسمي فهو منفك من هذه القيود جميعا»[2].

3-2-5- إشاريات الخطابات:

وهي إشاريات لا تحيل على مرجع بل هي التي تخلق المرجع، وقد تلتبس إشاريات الخطاب بالإحالة إلى سابق أو لاحق، ولهذا أسقطها بعض الباحثين من الإشاريات[3].

ومن هنا نستنتج أن الإشاريات تعد من ضروريات الخطاب التداولية فبواسطتها يتم إدراك قصدية المتلفظ، فلا يمكن تفسيرها بمعزل عن السياق الذي وردت فيه، وهذا لكونها تسهم في تحقيق بنية الخطاب وتماسكه.

4- الافتراض المسبق:

ينتمي الافتراض المسبق إلى الجهاز المفاهيمي للإستراتيجية التداولية، وهو يحدد على أساس معطيات لغوية بين المتكلم والمستمع، حيث يرى التداوليين أن:« الافتراضيات المسبقة ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ، ففي التعليميات تم الاعتراف بدور الافتراضات المسبقة منذ زمن طويل، فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق، يتم الانطلاق منه والبناء عليه، أما مظاهر سوء التفاهم المنضوية تحت

[1] - المرجع نفسه، ص: 21.

[2] - عطية سليمان أحمد: الإشهار القرآن والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية المزج المفهومي والتداولية لسورة يوسف أنموذجا، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، القاهرة، ط1، 2004، ص: 175.

[3] - بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012، ص: 90.

التواصل الشيء فلها سبب أصلي مشترك، هو ضعف أساس الافتراضات المسبقة الضروري لنجاح كل تواصل كلامي»[1].

4-1- تعريفه:

كما يعرف بأنه استدلال يؤخذ كمسلمة عند النطق بالجملة، ويعمل كشرط مسبق من أجل الاستعمال الجيد لهذه الجملة، حيث يوجد افتراض مسبق أو دلالي، وافتراض تداولي، فالأول مرتبط بالصدق، أما الافتراض التداولي المسبق فلا دخل له بالصدق ولا بالكذب، فالقضية الأساسية يمكن أن تنفى دون التأثير في الافتراض المسبق، فإذا قال قائل: بيتي جميل، ثم قال: بيتي ليس جميل، فعلى الرغم من التناقض بين القولين، فإن الافتراض المسبق في هذه الحالة هو أن له بيتا خاصا به، والافتراضات المسبقة إذا تشكل خلفية التبليغ الضرورية لنجاح العملية التواصلية، وهي محتواة من القول إثباتا أو نفيا[2].

ولقد ورد في تعريف له:« هو تلك المعلومات التي لم يفصح عنها، فإنها بطريقة آلية مدرجة في القول الذي يتضمنها أصلا بغض النظر عن خصوصيته»، ومن الممكن أن نص الافتراضات المسبقة على أنها أفعال كلامية افتراضية، فهي في نفس درجة الأمر والاستفهام[3].

وفي إشارة من "عيد بلبع" فإن الافتراض يستخدم في التحقيقات القضائية لإقرار التهم بفعل جريمة ما، وذلك بأن يوجه المحقق سؤالا للمتهم في الإجابة عنه إقرار ضمني بفعل الجريمة، فإذا سئل المتهم من قبل المحقق: على أية حال يا سيد (سميث) في الواقع قد اشتر (كوكايين)، فإذا أجاب هو بباسطة على الشق المكاني من السؤال بتحديد موقع، فإنه بذلك يؤكد على صحة الافتراض السابق[4].

وهو توجيه المتكلم الحديث إلى السامع على أساس ما يفترض سلفا أنه معلوم، وعليه ينبغي على كل من يخوض في دراسة الافتراض المسبق أن يكون على حذر من أمرين هما:

- كثرة الأبحاث التي تناولت هذا الموضوع في إطار نظريات مختلفة ووجهات نظر متباينة.

---

[1] – مسعود صحراوي: التداولية عند العرب دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص: 32.

[2] – ينظر: حليمة بوريش: أفعال الكلام في الخطاب القرآني سورة البقرة أنموذجا، رسالة ماجيستر، 2011/ 2012، ص: 56/ 57.

[3] – ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص: 124.

[4] – عيد بلبع: التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، بلنسية للنشر، المنوفيه، مصر، ط1، 2009، ص: 169.

- التمييز بين الاستعمال العام للفظ الافتراض المسبق في لغة الحياة اليومية والاستعمال الإصلاحي في الدرس التداولي الذي هو أضيق مدى من الاستعمال العام.

4-2- أنواع الافتراضات المسبقة:

تتمثل هذه الأنواع في مؤشرات لافتراضات مسبقة كامنة وهي كالتالي[1]:

- الافتراض المسبق الوجودي existential présupption.
- الافتراض المسبق الواقعي factive présupption.
- الافتراض المسبق المعجمي lexical présupption.
- الافتراض المسبق البنيوي structural présupption.
- الافتراض المسبق غير الواقعي non facitive présupption.
- الافتراض المسبق المناقد للواقع contre-factuel présupption.

5- الاستلزام الحواري:

الاستلزام الحواري هو أحد أبرز المفاهيم التداولية، والتي تعود أولى بداياته على أعمال الفيلسوف اللغوي "بول غرايس"، والذي يعد أول المنظرين لهذا المفهوم في الدرس التداولي الغربي الحديث من خلال مؤلفه "المنطق والمحادثة"، فقد لاحظ بأن المتخاطبين عندما يتحاورون يتبعون عددا معينا من القواعد الضمنية اللازمة في أثناء تواصله، وأنه في حالة من إذا وقع خلل في تلك القواعد فلا يتم ذلك التواصل، ولإثبات نظريته ؟؟؟ وضع "غرايس" مبدأ عاما سماه "مبدأ التعاون"، يقضي هذا المبدأ بأن يتعاون المتخاطبون في تحقيق الهدف من حوارهم[2].

5-1- تعريفه:

والاستلزام الحواري هو استعمال المتكلم آلية لا يرتبط فيها اللفظ والقصد برابط لغوي، بل يرتبط ببيان القصد على إسهام عناصر السياق الموظفة، فالمتلقي لا يدرك معناها إلا من خلال القوانين وأضرب الاستدلال العقلي،

[1] - ينظر: جورج يول: التداولية، ص: 55/ 57.

[2] - عيسى تومي: الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني مقاربة تداولية في آيات من سورة البقرة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج 8، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع1، 2009، ص: 44.

كأن يرد المخاطب على السائل ردا لا يصلح حرفيا أن يكون جواب عمل سئل عنه في مقام التعريض، وهو المصطلح عليه بالاستلزام الحواري[1]. وهو يعد من أهم الأبعاد التداولية المعنى بالدراسة.

5-2- أنواع الاستلزام الحواري:

لقد قام "غرايس" بالتفريق بين نوعين من الاستلزام الحواري[2]:

الاستلزام العرفي: وهو قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض ألفاظ الدلالات بعينها، لا تتفكك عنها مهما اختلف بها السياق وتغيرت التراكيب.

الاستلزام الحواري: وهو يتغير بتغيير السياق الذي يرد فيه، فحين يقال مثلا: كم الساعة؟ فإن مقصد المتكلم هنا يختلف حسب السياق الذي وردت فيه الجملة، فقد يكون هذا السؤال من أجل المعرفة، وقد يكون توبيخا للتأخر.

يعد الاستلزام الحواري بمثابة جسر يربط بين ما هو داخلي وخارجي في الجملة، وهذا لم يحصل إلا من خلال الوسائل المساعدة، والتي يمكن أن يطلق عليها بالتأويل[3].

5-3- مبدأ التعاون:

يتضمن مبدأ التعاون أربعة مبادئ فرعية[4]:

أ- مبدأ الكم: ويجب أن يجعل المتكلم إسهامه في الحوار بالقدر المطلوب دون زيادة ولا نقصان.

ب- مبدأ الكيف: لا يجب التلفظ إلا بما هو صحيح وما له دليل.

ج- مبدأ المناسبة: يجب فيه تناسب الكلام مع الموضوع.

د- مبدأ الطريقة: يجب فيه الوضوح والإيجاز والترتيب في الكلام.

---

[1] - ينظر: إدريس مقبول، الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم اكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2011، ص: 13.

[2] - ينظر: نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية لأفعال الكلامية، مجلة اللغة و الإبداع، ع17، ص: 200.

[3] - ينظر: بن عيسى أزاييط، الخطاب اللساني العربي ـ هندسة التواصل الإداري ـ من التجريد إلى التوليد مستويات البنية الإدمارية وإشكالاتها الأساسية، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن ط1، 2012، ص: 275/ 277.

[4] - ينظر: عبد الحكيم سحابة، التداولية امتداد شرعي للسميائية، الملتقى الدولي الخامس، المركز الجامعي، الطارف، ص: 431/ 432.

ونستخلص أن هذه المبادئ هي التي تحقق بها التعاون بين كل من المتكلم والمخاطب، وذلك بالوصول إلى حوار مثمر.

الفصل الثاني:

الأبعاد التداولية في سورة هود

أولا: نبذة عن سورة هود.

ثانيا: بنية أفعال الكلام في سورة هود.

ثالثا: بنية الحجاج في سورة هود.

رابعا: الإشاريات في سورة هود.

أولا: نبذة عن سورة هود:

1- مكية السورة وآياتها:

"سورة هود" سورة مكية إلا الآيات (114، 17، 12) فهي آيات مدنية، عدد آياتها 123 آية، نزلت بعد "سورة يونس"، وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس وقتادة: إلا الآية الرابعة عشر بعد المئة، وهي قوله تعالى:﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ ﴾.

2- اسم السورة:

سميت سورة هود بهذا الاسم نسبة إلى قصة النبي هود عليه السلام الواردة في السورة، وإحياءً وتخليدا لجهوده الكريمة في الدعوة إلى الله، حيث لم تذكر أكثر إسهابا في غيره هذه السورة الكريمة.

3- موضوعات السورة:

سورة هود مكية وهي تعنى بأصول العقيدة الإسلامية (التوحيد، الرسالة، البعث، والجزاء)، وتحدثت عن الدعوة إلى الله والصبر على البلاء والمقارنة بين المؤمنين والكافرين، و تحدثت عن قصة نوح عليه السلام، هود، صالح، لوط، شعيب، موسى، وهارون عليهم السلام، وختمت ببيان الحكمة من ذكر قصص المرسلين.

كما أن هذه السورة وأخواتها سورتي يونس ويوسف، هي أولى ثلاث سور لأسماء أنبياء، وكلما كان اسم السورة على اسم نبي، كانت قصة هذا النبي هي محور السورة، وفي ختام السورة تأتي آية تلخص للقصة، وكأنها قاعدة في كل السور المسماة على أسماء أنبياء، وهذه السور الثلاثة نزلت في وقت واحد وبنفس الترتيب الذي ورد في المصحف، بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها، ووفاة عم الرسول صلى الله عليه وسلم أبو طالب، وما لاقاه "صلى الله عليه وسلم" من أذى في الطائف، ورفض دعوته ونصرته من قبائل العرب، وكانت تلك الفترة عصيبة جدا على الرسول صلى الله عليه وسلم، فكأنما أنزل الله هذه الآيات للتخفيف عنه "صلى الله عليه وسلم" لأنها تقص عليه ما حدث لإخوانه الرسل من أنواع الابتلاء، ليتأسى بهم في الصبر والثبات.

كذلك جاءت الآيات تدعو الرسول صلى الله عليه وسلم إلى العمل وعدم اليأس، وألا يلجأ إلى التصرفات الغير محسوبة، وألا يركن إليهم، ويعيش في ظلهم ويترك قضيته، يقول الله تعالى:﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ

مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٢ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾[1]، وهاتان الآيتان تعدا محور السورة، ولقد تضمنت التوجيه للرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين كيف يتصرفون في هذه المحنة، وفي أي محنة قد تصيبهم في أي زمان ومكان، فجاءت بالأمر الأول "استقم"؛ أي اصبر واستمر بالدعوة، ثم جاء الأمر الثاني "لا تطغوا"؛ أي إياكم والتهور والطغيان، وجاء الأمر الثالث "ولا تركنوا" بمعنى إياكم أن تعيشوا في ظل الطغاة وتستسلموا لهم، وقد قال الحسن رضي الله عنه: سبحان الذي جعل اعتدال الدين بين لائين: لا تطغوا ولا تركنوا.

تبدأ "سورة هود" بتمجيد القرآن الكريم الذي أحكمت آياته وتعدوا إلى توحيد الله، يقول تعالى:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾[2]، كما عرضت في مطلعها الظروف الصعبة التي كان يعيشها المسلمون، قال تعالى:﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥ ﴾[3]، كما دعى الله نبيه للثبات والاستمرار في الدعوة رغم كل الظروف، قال تعالى:﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٢﴾[4]. وقد عرضت السورة عناصر الدعوة الإسلامية في ظل كل الظروف الصعبة عن طريق الحجج العقلية مع الموازنة بين فريقي الضلال والهدى وفرقت بينهما، كما تفرق الشمس بين الظلمات والنور، قال تعالى:﴿ ۞مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٤ ﴾[5]، أما الربع الأول من السورة عن معنى أن التكذيب شديد، وتأثيره شديد على المسلمين.

تنتقل السورة فيما بعد إلى الحديث عن سبع نماذج من قصص الرسل وصبرهم على ما لاقوه من أقوامهم، أولها قصة نوح عليه السلام، وصبره مع قومه، حيث لبث فيهم عمرا مديدا يدعوهم لعبادة الله، وتعنتهم وسخريتهم له على طول مدة الدعوة، ولم يركن حتى لابنه الذي كان من المغرقين، قال تعالى:﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ

[1] – سورة هود، الآيتين 112– 113. رواية ورش

[2] – سورة هود، الآية 1.

[3] – سورة هود، الآية 5.

[4] – سورة هود، الآية 12.

[5] – سورة هود الآية 24.

٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧ ﴾[1]، وتأتي العبرة في نهاية قصة نوح قوله تعالى:﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۛ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩ ﴾[2].

تلي قصة نوع عليه السلام قصة هود عليه السلام، حيث سميت السورة باسمه تخليدا لجهوده الكريمة في الدعوة لله، فقد كان قومه من العتاة المتجبرين الذين اغتروا بقوتهم وقالوا من أشد منا قوة؟، فواجههم هود عليه السلام، وكان رجلا فردا بين الجم الغفير من عتاد "عاد" الغلاظ الشداد، وقد حقرهم وانتقص من آلهتهم، وحثهم على التصدي له. وهي من أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشا إلى إراقة دمه، وذلك لثقته بربه. وقد قال لهم هود كلاما جامعا في آية واحدة قال تعالى:﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦ ﴾[3].

ثم جاءت قصة نبي الله صالح، ثم قصة لوط، شعيب، موسى وهارون، عليهم جميعا السلام، ثم التعقيب المباشر بما في هذه الآيات من العبر والعظات، التي تدور حول محور السورة، وتخدم أهدافها، وتعرض صبر كل نبي الله على أذى قومه، وعدم ركونه وطغيانه، لتختتم قصص الأنبياء ببيان الحكمة من ذكر قصص المرسلين، لتثبيت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم أمام الأهوال والشدائد التي تعرض لها، يقول تعالى:﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠ ﴾[4]، ثم يعرض الله لنا كيفية تنفيذ الأوامر التي وصانا بها، ويدلنا أن العبادة هي التي تعين على الاستقامة، قال تعالى: وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾[5]. اختتمت سورة هود بالتوحيد كما بدأت به، لتناسق البدء بالختام، قال تعالى:﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

[1] – سورة هود، الآيات 45- 46- 47.

[2] – سورة هود، الآية 49.

[3] – سورة هود، الآيات 54- 55- 56.

[4] – سورة هود الآية 120.

[5] – سورة هود، الآية 114.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣ ﴾[1].

ثانيا:بنية أفعال الكلام في سورة هود:

نظرية أفعال الكلام هي إحدى أهم وأكبر النظريات التداولية، التي مفادها أن المتكلم ينجز أفعالا بالكلام، وهذا ينطبق على الخطاب القرآني، حيث أن المؤمن يأتمر بأوامر الله، وينهى بنواهيه، وسورة هود زاخرة بالأفعال الكلامية محملة بقوى إنجازية: ونذكر فيما يلي:

الفعل القولي: وهو فعل يُنسب إلى مُحدِث عملية التواصل، وتطبيقا على الخطاب الشرعي، يكون الله سبحانه وتعالى هو المتكلم الأول، لأن خطابه القرآني هو كلام الله المنزل على عباده، والمتكلم الثاني ولكنه على لسان الله، فالله في كتابه ضمّن كلاما مقدسا قرآنا على ألسنة رسله.

الفعل التأثيري: وهو فعل يقع حين السماع، يعني بعد التلفظ بالقول، إمّا قراءة أو استماعا (حوارا)، ويأتي بالسلب والإيجاب، وهذا الفعل إنما يتحقق في المتلقي، ومنه ردة فعل، والمتلقى ثلاثة أنواع: متلق مصدق، متلق متردد، متلق منكر، الأول لا يحتاج إلى إقناع، أما الثاني فيحتاج إلى إقناع وحجة على قدر شكه، أما الثالث فيحتاج إلى حجج دامغة وبراهين، تفند إنكاره وعناده إلى التصديق والتسليم، وأفعال الكلام تضرب على وتر المتلقي في ذهنه وسلوكه، فتغيره إما معتقدا أو خُلقا.

الفعل الإنجازي: وهو فعل يقع بعد فعلي القول والتأثير، ولا تتحدد إنجازية الفعل بالإيجاب، إنما تتحدد بالسلب أيضا، وقوم عاد إنما كفروا، فهو إنجاز لفعل قولي بعد التأثير، تمن القوى الإنجازية في عموم دلالة سورة هود، في أن الله بعث فيهم رسولا اسمه "هود عليه السلام" فكفروا به، فتحدوه وأنكروه، فما كان من الله بعد أن حقت عليهم الحجة أن عذبهم بإنجازهم، أو عدم تصديق رسوله.

[1]- سورة هود، الآية 123.

يقول الله تعالى في بداية سورة هود:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾1[1].

الٓرۚ: وهي حروف تدعى بحروف الافتتاح، ولها عدة معان، وتكمن قوتها الإنجازية في أنها إيماء تهدف إلى التحدي لمعارضي القرآن، وهي تفيد التنويه بالقرآن الكريم، والنهي عن عبادة غير الله، وأن الرسول نذير للمشركين، وأن الحشر موجود ثابت، وأن الله مطلع على خفايا الناس.

ملفوظ من أفعال الكلام التقريرية (assertives) حسب تصنيف "سيرل"، وهي الأفعال التي يلتزم بها المتكلم بصدق القضية المعبر عنها وقد جمعت هذه الآية القرآن الكريم عددا من الأفعال الإنجازية (الوصف، التقرير، الثناء، الإخبار).

قال تعالى:﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤ ﴾[2].

أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ: أي نزل هذا القرآن المحكم المفضل لئلا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له[3]، فعل كلامي إنجازي بأسلوب العرض، وهو الطلب برفق ولين، القصد منه إسداء النصح والتحذير خشية عليهم من العقوبة باستعمال الأداة (ألا).

وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ: دعوة المخاطبين إلى الاستغفار والتوبة، فعل كلامي إنجازي مؤكد بصيغة الأمر، فالأمر والنهي من الأساليب الإنشائية الطلبية، أما بلغة التداوليين فهما فعلان كلاميان يحمل كل منهما قوة إنجازية تحددها إرادة المتكلم وقصده، وهي إرادة متعلقة بطلب إيقاع المأمورية وعدم إيقاع المنهي عنه[4].

يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥ: ملفوظ تقريري تكمن قوته في الإنجازية، في كون أصل الإمتاع الإطالة ومنه أمتع الله بك، ومعنى الآية: يطول نفعكم للدنيا بمنافع حسنة مرضية

[1] – سورة هود، الآية 1.

[2] – سورة هود، الآيات 2- 3- 4.

[3] – جمال محمود الهوبي: تفسير سورة هود، ط1، 2007، ص: 2.

[4] – مسعود صحراوي: التداولية عند العرب، ص: 150.

من سعة الرزق ورغد العيش، وهي بمثابة الحجج والمقدمات للغاية التي خلقهم الله لأجلها، وهي عبادة الله وحده لا شريك له.

وَإِن تَوَلَّوْاْ: أي تتولوا وتعرضوا عن الإيمان والطاعة والاستغفار.

وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٖ كَبِيرٍ: أي أخاف وأخشى عليكم عذاب يوم القيامة، ووصف العذاب بأنه كبير لما فيه من الآلام والأهوال الشديدة.

إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ: فعل كلامي تقريري (إخباري)، تضمن قوة إنجازية وهي رجوعكم ومعادكم إلى الله بالموت، ثم البعث، ثم الجزاء يوم القيامة.

قال تعالى:﴿ ۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨ ﴾[1].

وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا: تقرير إخبار ووصف؛ أي ما من شيء يدب على وجه الأرض من سائر دواب الأرض صغيرها وكبيرها بحريها وبريها من إنسان وحيوان إلا تكفل الله برزقه تفضلا منه تعالى وتكرما، فهو الخالق الرزاق. وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَا: قال ابن عباس: مستقرها حيث تأوي إليه من الأرض، ومستودعها الموضع الذي تموت فيه فتدفن.

كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ: أي كل ما تقدم ذكره من الدواب وأرزاقها وأقدارها وأعمارها ومستقرها ومستودعها مسطر ومثبت في اللوح المحفوظ.

[1]- سورة هود، الآيات 6- 7- 8.

يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا: اللام متعلقة بخلق؛ أي خلق هذه المخلوقات ليبتلي عباده بالاعتبار والتفكر والاستدلال على كمال قدرته وعلى البعث والجزاء، أيهم أحسن عملا في ما أمر به ونهى عنه، فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ويدخل في العمل الاعتقاد لأنه من أعمال القلب[1].

أَيُّكُمْ: اسم استفهام، فهو مبتدأ، وجملة المبتدأ والخبر سدت مسد الحال اللازم ذكرها بعد ضمير الخطاب اللازم في (يبلوكم) نظرا إلى أن الابتلاء لا يتعلق بالذوات، فتعديه فعلان يبلوان إلى ضمير الذوات ليس فيه تمام الفائدة فكان محتاجا إلى ذكر تقيد متعلق بالابتلاء، وهذا ضرب من التعليق وليس عينه[2].

وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ: أي ولئن قلت يا محمد لأولئك المنكرين من كفار مكة أنكم ستبعثون بعد موتكم للحساب، وهو فعل كلامي تقريري وصفي تكمن قوته الإنجازية في الإخبار عن يوم البعث.

لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ: أي ليقلن الكفار المنكرون للبعث والنشور ما هذا القرآن إلا سحر واضح مكشوف، وقد تضمن هي الأخرى فعلا كلاميا تقريريا وتأثيريا صادرا من الفعل الكلامي الأول (مبعوثون) مؤكدا بأن تكمن قوته الإنجازية في إدعاءات الكفار الكاذبة وخبث نفوسهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَئَُوسٌ كَفُورٌ ٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١١ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٣ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٤ ﴾[3].

[1] – جمال محمود الهوبي: تفسير سورة هود، ص: 2

[2] – الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، دط، 1984، ص: 8.

[3] – سورة هود، الآيات 9- 14.

وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ: أي ولئن أنعمنا على الإنسان بأنواع النعم من الصحة والأمن والرزق وغيرها من النعم، ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ: أي سلبنا تلك النعم منه، إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ : أي يائس كثير اليأس من الرحمة، وهي صيغ مبالغة على وزن فعول، وتعني كثير اليأس وشديد الكفر للنعم جاحدا لها.

إن الغرض الإنجازي للأفعال الكلامية الواردة في الآيات السابقة هو التقرير، بحيث تتم إنجازية هذه الأفعال من خلال خطوتين، يتحقق الإنجاز في الخطوة الأولى من خلال نطق الكلام وأدائه، بينما يتحقق في الخطوة الثانية من خلال الإخبار أو الوصف باعتبارهما غرضين إنجازين شأنهما شأن أي غرض آخر كالرفض أو القبول إلى غير ذلك[1]، وهو ما إليه "أوستين " الذي بيّن أن الإخباريات (الوصفية) في الظاهر والتي يسميها (التقريرية)، هي التي يمكن أن تحلل في شكل أفعال كلامية[2].

أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ: الاستفهام للتوبيخ، تحداهم أولا بالإتيان بمثل هذا القرآن فعجزوا، ثم تحداهم ثانيا بعشر سور فعجزوا، ثم تحداهم ثالثا بالإتيان بسورة مثله في البلاغة والفصاحة والاشتمال على المغيبات والأحكام التشريعية وبأمثالها، وهي الأنواع التسعة وقد نظمها بعضهم بقوله:

ألا إنما تسعة أحـــــــرف سأنبيكها في بيت شعر بلا ملل

حلال حرام محكم متشابه بشير نذير قــصة عظمة مثل

قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى: قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ: أي مماثلة له في البلاغة وحسن النظم وجزالة اللفظ وفخامة المعاني.

فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ: أي أسلموا، استفهام معناه الأمر، وهو فعل كلامي توجيهي صريح وهو الدعوة إلى الإسلام بعد أن قامت عليكم الحجة، الالتفات في الخطاب من المفرد في قوله قُلۡ فَأۡتُواْ إلى الجماعة بعده في قوله تعالى فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ، ولم يقل لك، فالالتفات من الإفراد إلى الجمع للتعظيم والتفخيم، وقد يخاطب الرئيس بما يخاطب به الجماعة.

[1] – ينظر: علي محمود حجي الصراف: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص: 61.

[2] – جون أوستين: نظرية الأفعال الكلامية العامة، ص: 87– 88.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ١٩ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ٢١ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ٢٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٣ ۞مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٤﴾[1].

اختلف العلماء في المراد من قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ إلى أقوال عديدة وهي:

أ- الأشهاد هم الملائكة وبه قال مجاهد والأعمش.

ب- الأشهاد هم الأنبياء والرسل، بدليل قوله تعالى:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ٤١ ﴾ (النساء: 41) وبه قال الضحاك.

ج- قيل هم الملائكة والأنبياء والعلماء الذين بلغوا الرسالات

د-قيل هم الخلائق أجمع وبه قال قتادة.

تضمنت هذه الآيات أفعال كلامية تقريرية إخبارية، تكمن قوتها الإنجازية في وصف كذب هؤلاء الكفار الذين عميت أبصارهم وسدت آذانهم.

مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ: فعل كلامي إخباري تضمن قوة إنجازية وهي الوعيد ومال الكفار يوم القيامة.

فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ: فعل كلامي إنجازي من فئة الإلتزامات (commissives) ويتحقق بالتزام المتكلم بانجاز عمل في المستقبل حسب تصنيف "سيرل"[2]. والمختلف عن تصنيف أستاذه "أوستين".

[1]- سورة هود، الآيات 18- 24.

[2]- محمود أحمد نحلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 50.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ: أي أن الذين جمعوا بين الإيمان القلبي والعمل بالجوارح، فعملوا الصالحات قولا وفعلا من الإتيان بالطاعات وترك المنكرات وخشعوا وخضعوا وذلوا لخالقهم ومالكهم.

أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ: أي أولئك أصحاب وأهل وورثة الجنة يوم القيامة، منعمون فيها ومخلدون لا يخرجون منها أبدا.

مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ: فقد شبه سبحانه فريق الكافرين بالأعمى والأصم لتخبطهم في ظلمات الضلالة، وعدم اهتدائهم إلى سبيل الطاعة والسعادة كتخبط الأعمى الأبكم في سيره، وشبه فريق المؤمنين بالبصير والسميع لإبصارهم نور الحق واهتدائهم إلى سبيل الطاعة والسعادة كاهتداء السميع البصير في سيره.

هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ: أي لا يستوي الفريقان مثلا كعدم استواء الأعمى والأصم والبصير والسميع، وهو فعل كلامي إنجازي الاستفهام إنكاري.

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ: أي أفلا تعتبرون وتتعظون؟ والغرض التفريق بين فريق أهل الطاعة والإيمان، وفريق أهل الجحود والعصيان، والسؤال من الله تعالى في القرآن مستغن عن سؤال خلقه فهو يعلم الأشياء قبل كونها وإنما يستفهم ليقررهم ويذكرهم إنهم قد علموا حقيقة ما سئلوا عنه. فالاستفهام في علم المعاني استعلام عن نسبه هي في أصلها خبر[1].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧﴾[2]. يمكن توضيح الفعل الكلامي في الآيات كما توضحا الجداول التالية: الموضحة للقوى الإنجازية المتضمنة فيها.

[1] – مهي المخزومي: في النحو العربي– نقد وتوجيه–، ص: 264.

[2] – سورة هود الآيات 25– 27.

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ	
الإخبار: قوة إنجازية صريحة، وهي الإخبار عن إرسال النبي نوح إلى قومه	قوة إنجازية متضمنة في القول وهي التأكيد، التحذير، و الوعيد

أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ	
ملفوظ كلامي صريح، النهي	قوة إنجازية متضمنة في القول وهي النهي، القصد منه إسداء النصح والتحذير خشية عليهم من العذاب
فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ	
القوة الإنجازية الصريحة هي النفي مع الحجاج	المتضمن في القول أنهم بادروا إلى إتباعه من غير تعمق أو تفكر أو روية، وهذا مردود عليهم لأن الحق إذا وضح لا يبقى للرأي ولا للفكر مجال بل لابد من إتباعه

قال تعالى:﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١ ﴾[1].

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ: بعد أن عارض الملأ نوحا عليه السلام واحتجوا ببشريته، وبأن أتباعه أراذل الناس، واتهموه بالكذب، ناسب أن يذكر هنا رد نوح عليه السلام عليهم، وإجابته على باطلهم، تضمنت الآية فعلين كلاميين إنجازيين، الأول هو تأثيري (النداء "يا قوم") تتمثل قوته الإنجازية في تنبيه المخاطبين على تلقي الخطاب، والثاني استفهام إنكاري، فقال نوح عليه السلام: أخبروني يا قوم إن كنت على برهان من أمر جلي من

[1] – سورة هود، الآيات 28– 31.

ربي بصحة دعوتي، فخفي الأمر عليكم، فلم تهتدوا إليها، ولا عرفتم قدرها بل بادرتم إلى تكذيبها وردها لاحتجاجكم الباطل بالمادة على نور الإيمان.

أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ: أي أنكرهكم ونجبركم ونغصبكم ونضطركم على قبولها، وأخذها والحال أنهم كارهون منكرون لها؟، والاستفهام للإنكار أي لا نفعل ذلك لأنه لا إكراه في الدين.

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ، وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ: أي ويا قوم لا أسألكم على نصيحتي لكم وتبليغي دعوة الله إليكم مالا أجرة آخذها منكم على ذلك، ما ثوابي إلا من الله، فإنه هو الذي يثيبني ويجازيني، والملاحظ في هاتين الآيتين تكرار الخطاب (يا قوم) وهو تكرار للتوكيد.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧ ۝وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ١٠٨﴾[1].

إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ: اختلف المفسرون وأهل العلم في معنى الاستثناء في هذه الآية إلى أقوال كثيرة منها:

الأول: أنه من قوله: ﴿ففي النار﴾ كأنه قال: إلا ما شاء ربك من تأخير قوم عن ذلك، وهو قول أبي النضرة وأبي سعيد الخدري.

الثاني: أن الاستثناء إنما هو للعصاة من الموحدين، وأنهم يخرجون بعد مدة من النار، وعلى هذا يكون قوله ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ ﴾ عامة في الكفرة والعصاة، ويكون الاستثناء من خالدين، وتكون ما بمعنى من، وبهذا قال قتادة والضحاك وأبو سنان وغيرهم، وقد ثبت في الأحاديث المتواترة تواترا يفيد العلم الضروري بأنه يخرج من النار أهل التوحيد، فكان ذلك مخصصا لكل عموم.

الثالث: أن الاستثناء من الزفير والشهيق؛ أي لهم فيها زفير وشهيق ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ من أنواع العذاب الأخرى غير الزفير والشهيق، قاله الأنباري.

[1] – سورة هود: الآيات 106/ 108.

الرابع: أن معنى الاستثناء، أنهم خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ولا يموتوا إلا ما شاء ربك، فإنه يأمر النار فتأكلهم حتى يفنوا، ثم يجدد الله خلقهم، روي ذلك عن ابن مسعود.

الخامس: أن "إلا" بمعنى سوى، والمعنى: مادامت السموات والأرض سوى ما يتجاوز ذلك من الخلود، كأنه ذكر خلودهم ما ليس عند العرب أطول منه، ثم زاد عليه الدوام الذي لا آخر له حكاه الزجاج.

السادس: أن هذا لا ينافي عدم المشيئة كقولك: والله لأضربنه إلا أن أرى غير ذلك، ونوقش هذا بأن معنى الآية الحكم بخلودهم إلا المدة التي شاء الله، فالمشيئة قد حصلت جزما، روى عن الفراء وابن الأنباري وابن قتيبة والزجاج.

السابع: أن المعنى خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من مقدار وموقفهم في قبوركم للحساب، حكاه الزجاج أيضا.

الثامن: أن المعنى؛ خالدين فيها إلا ما شاء ربك من زيادة النعيم لأهل النعيم وزيادة العذاب لأهل الجحيم، حكاه الزجاج أيضا واختاره الحكيم والترمذي.

التاسع: أن (إلا) بمعنى الواو، وقال الفراء: المعنى هو ما شاء ربك من الزيادة، قال مكي: وهذا القول بعيد عن البصريين أن تكون إلا بمعنى الواو.

العاشر: أن (إلا) بمعنى الكاف، والتقدير: كما شاء ربك ومنه قوله: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ٢٢ ﴾[1]؛ أي بمعنى قد سلف.

الحادي عشر: أن هذا الاستثناء إنما هو على سبيل الاستثناء الذي ندب إليه الشارع في كل كلام، روي نحو هذا عن أبي عبيد.

الثاني عشر: الاستثناء بالمشيئة، استعمل للدلالة على الثبوت والاستمرار، والنكتة في ذكره بيانه أن هذه الامور كانت بمشيئته تعالى ولو شاء لغيرها، وليس شيء خارج عن مشيئته، فالإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والخلود

[1] – سورة هود، الآية 22.

والخروج كلها بمشيئة الله، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾[1].

قال تعالى:﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ١٠٩ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١١٠ وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١١ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ ﴾[2].

وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ: فيه ثلاث أقوال أحدها: نصيبهم من الرزق، قاله أبو العالية، الثاني: نصيبهم من العذاب، قاله ابن يزيد، الثالث: ما وعدوا به من خير أو شر، قاله ابن عباس رضي الله عنه.

وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ: أي بين قومك يا محمد أو بين قوم موسى.

﴿وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١١ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾: أخرج البيهقي في الشعب عن ابي على السري قال: « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت يا رسول الله روي عنك انك قلت شيبتني هود، قال: نعم، فقلت: ما الذي شيبك منها، قصص الأنبياء وهلاك الأمم، قال: لا، ولكن قوله ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾».

وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: اختلف المفسرون في هذه الآية هل هي خاصة بالمشركين أو عامة، فقيل: خاصة بالمشركين، وقد روي عن ابن عباس، وقيل: عامة في الظلمة سواء كانوا كفارا أو مسلمين وهذا هو الظاهر من الآية، قال النيسابوري في تفسيره: الركون المنهي عنه، هو الرضا بما عليه الظلمة، أو تحسين الطريقة وتزيينها عند غيرهم، ومشاركتهم في شيء من تلك الأبواب، فأما مداخلتهم لرفع ضرر واجتناب منفعة عاجلة، فغير داخلة في الركون،

[1] – سورة الفتح، الآية 27.

[2] – سورة هود، الآيات 114/109.

قال: واقول هذا من طريق المعاش والرخصة، ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بكلية، قال تعالى:﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ (الزمر: 36).

لقد تنوعت الأفعال الكلامية في خطاب السورة وتعددت واختلفت، أفعال الكلام الإخبارية التقريرية النسبة الأكبر في خطاب السورة، لارتباطها بوصف أحوال المخاطبين، ووصف عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وذكر أخبار الأولين وقصصهم، لكن الأفعال الكلامية التوجيهية الطلبية وبخاصة أفعال النداء والاستفهام والأمر والنهي لارتباطها بالأحكام والتكاليف الشرعية.

وقد اختلفت هذه الأفعال من حيث درجة قوتها الإنجازية توكيدا أو إثباتا ونفيا، مراعاة لأحوال المخاطبين وتحقيقا لمقاصد وغايات الخطاب القرآني في السورة، التي تحتوي بين طياتها على فنون البلاغة لا يجتمع إلا القليل منها في روائع البيان العربي، بيد أنها تخالف الفنون الأخرى في خلوها من التكلف، وبعدها عن التصنع هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنها من أبلغ الطرق، وأمثل السبل في تبليغ مضامين الرسالة في الدعوة للتوحيد، ووصف الكتّاب بالإحكام والتفصيل، وسرد القصص القرآني عبرة وموعظة لأولي الألباب.

وإذا عدنا إلى الأساليب الإنشائية في سورة هود، فإننا جد أنها وردت في السورة الكريمة في مائة وتسعة عشر موضعا (119) تقريبا، ترددت بين الأمر، النهي، الاستفهام، التمني، والنداء، مع ملاحظة أن عدد الأساليب الإنشائية يقترب كثيرا من عدد آيات السورة البالغ مائة وثلاثا وعشرين آية(123)، وأم مجموع أساليب الامر يساوي عدد أساليب النهي والاستفهام.

ويتمثل الأمر في القرآن الكريم في مواضع لا حصر لها، وفي سورة هود عليه السلام نماذج متنوعة، وضروب متعددة للأمر، فقد تفوق أسلوب الأمر من حيث العدد في السورة على سائر الأساليب، حيث ورد الآيات في ثلاثة وأربعين موضعا (43)، وأول أساليب الأمر مرتبطة بالحث على الاستغفار، وهذا ما يشيع في قصص الأنبياء، ويتمثل ذلك في قوله تعالى:﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ٣ ﴾[1].

[1] – سورة هود، الآية 3.

إن أسلوب النهي لا يتصل بالبلاغة العربية وحدها، وإنما يتصل بالقرآن وعلومه، والقرآن الكريم يزدان بأساليب النهي، فما من سورة تقع بين دفتي القرآن إلا وتحمل بين صفحاتها عشرات الأساليب. وإذا كان النهي يحمل المعنى السابق وهو "طلب الكف عن الفعل، أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام"، فإن الذي يتأمل هذه الصيغة يجد إنها قد تخرج أحيانا عن معناها الحقيقي للدلالة على معان أخرى تستفاد من السياق، وقرائن الأحوال مثل الدعاء، الالتماس، التمني، النصح، الإرشاد، والتوبيخ، التحقير، التيئيس، والتهديد.

أما أساليب النهي في سورة هود عليه السلام فقد وردت في عشرين موضعا(20)، وأول هذه الأساليب قوله تعالى:﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢﴾[1]، وتكرر الأسلوب نفسه في قوله تعالى:﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٖ ٢٦﴾[2]، والنهي في الآيتين السابقتين للتحذير من عبادة غير الله من ناحية، ووجوب عبادته من ناحية أخرى.

يعد الاستفهام من مقومات التركيب اللغوي، وأسس بنيانه شأنه شان الأساليب الأخرى من أمر، نهي، تمني، ونداء، حيث انصهرت الأساليب جميعا في بوتقة واحدة، فشكلت بعدا جماليا بديعا ومظهرا فنيا رائعا.

والاستفهام كما تدل صيغة الاستفعال هو:"طلب الفهم"، ولكن أساليب الاستعمال ا ذلك أقل دلالات الصيغة خطرا وبخاصة في السياق القرآني؛ لأن الله سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو منزه عن طلب الفهم، ومن تم يكون للاستفهام في القرآن الكريم وظائف أخرى غير ذلك. ومن أساليب الاستفهام في السورة قوله تعالى:﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٤﴾[3]، وغرض الاستفهام هنا الأمر "وهو استفهام ومعناه الأمر"؛ أي فأسلموا بعد هذه الحجة القاطعة، ورأى بعضهم أن الاستفهام للحث على الفعل والترغيب فيه.

وبنظرة بسيطة ندرك أن أسلوب التمني، هو أقل الأساليب الإنشائية ورودا في سورة هود، حيث إن التمني لم يرد في السورة إلا مرة واحدة في قوله تعالى:﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾[4]، وتخالف (لو) حروف التمني الأخرى، والغرض البلاغي من استعمال (لو) في التمني هو: "هو الإشعار بعزة

[1] – سورة هود، الآية 2.

[2] – سورة هود، الآية 29.

[3] – سورة هود، الآية 14.

[4] – سورة هود، الآية 80.

المتمني؛ لأن المتكلم يظهره في صورة الممنوع"، إذ إن (لو) تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط وروده لا يقارن بالأساليب الإنشائية الأخرى (الأمر، النهي، النداء، والاستفهام) من حيث العدد، ورغم ذلك فإن كثيرا من العلماء تناول هذه الآية بالشرح والتحليل.

وإذا تتبعنا أسلوب النداء في سورة هود، نجد أن هذا الأسلوب ورد في سورة في اثنين وثلاثين (32) موضعا، وقد تنوع بين النداء المتبادل بين الأنبياء وأقوامهم، ونداء نوح الله سبحانه وتعالى من ناحية، ونداء ابنه من ناحية ثانية، ولعل النداء الذي يتكرر بصورة بين آيات سورة هود هو قوله تعالى:﴿ يٰقَوْمِ ﴾، إذ تكرر هذا النداء ست عشرة مرة (16) ومثل هذا العدد يقارب نصف عدد أساليب النداء تقريبا، وقد غلب على هذا النداء التلطف بقومه في الخطاب؛ لأنهم أبناء عشيرته، أما التكرار للنداء فهو من قبيل تأكيد التلطف بهم في الخطاب، ويتضح ذلك في الآيات التالية:﴿قَالَ يٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ٢٩﴾.

ويعد الخبر في سورة هود الأداة الرئيسية قي قصص الأنبياء عليهم السلام، وفي تمهيدها وتعقيباتها، ولو تتبعنا كل الصور الخبرية فيها لطال بنا الوقوف، وما أصعب عملية إحصاء الأسلوب الخبري الذي تنوعت مقاصده ومعانيه البلاغية، ففي بعض مواطن السورة جاء الخبر دالا عن حقيقته في معظم مواقعه قائم على حوار، تردد كثيرا بين الطرفين (الدعوة للإسلام، المعارض للدعوة)، ونراه يكثر في موقف الطرف المعارض للدعوة.

ثالثا:بنية الحجاج في سورة هود:

لما كان القرآن الكريم خطابا موجها إلى المتلقي بصدد التأثير والإقناع، وإقامة الحجة على الناس، وذلك كونه خطابا يختلف عن الخطابات الأخرى، فشرائعه وأحكامه صالحة في كل زمان ومكان، وقصصه حكاها على سبيل التدبر والموعظة من حال الأمم السابقة لإعراضها عن أمر ربها، هذا فقد تعددت السور التي احتوت اشتملت في مضمونها للقصص القرآني، حتى إنه يمكن القول أن الغالب فيه وهذا ما يقتضيه الأمر، ومن بين هذه السور نجد "سورة هود" التي تضمنت خمس قصص ومحاورات الأنبياء لأقوامهم كما سلف الذكر، فالطرف الأول (الأنبياء)

يدعون أقوامهم إلى عبادة الله وحده، واقتضى المقام بالضرورة الاستعانة بالحجج المتنوعة للإقناع والتأثير في الطرف الآخر(أقوامهم).

ولقد اخترنا دراسة الحجاج في هذا الموضع (سورة هود) من خلال النقاط المتمثلة في: أنواع الحجاج، الروابط الحجاجية وعواملها، إضافة إلى السلالم الحجاجية.

1- أنواع الحجاج:

إن القرآن الكريم خطاب موجه إلى الناس بهدف الإقناع، التأثير، والاستمالة، لذا نجده يتوفر على عدد من الانواع الحجاجية التي ساهمت بشكل أو بآخر في إيصال الأفكار، وإقامة الأنبياء والرسل الحجة على أقوامهم أثناء دعوتهم إلى توحيد الله جلا وعلا، ومن هذه الأنواع نجد:

1-1- الحجاج التقويمي:

الحجاج التقويمي هو ذلك الحجاج الذي يكون فيه المرسل يدرج المتلقي في حساباته الخطابية، ويهتم بردود أفعاله التي من بينها الاعتراض على أقواله ورد حججه وعدم قبولها.

نجد هذا النوع من الحجاج في سورة هود، خاصة في المحاورات والمحادثات التي جرت بين الأنبياء وأقوامهم أثناء محاولتهم لدعوتهم إلى عبادة الله عز وجل. فالنبي – بصفة عامة– لما يتوجه إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده، فهو يعرف أن قومه سيقابلون دعوته بالصد والإعراض، وإن آمن معه وصدقه بعض قومه فبالتأكيد أكثر قومه لا يصدقونه، ولا يؤمنون به وبما يدعوهم إليه، فالنبي نوح عليه السلام على سبيل المثال كان يدعو قومه مدة 950 سنة إلى عبادة الله، ومع ذلك لم يؤمن معه إلا قليل، فأمره الله عز وجل بصنع الفلك ليحمل فيها من كل زوجين اثنين، ليهلك المتكبرين المتجبرين المعاندين.

ومما يدل على ذلك أيضا، مجادلة الأنبياء لأقوامهم وإتيانهم بحجج كثيرة قصد إقناعهم، واعتماد أساليب عديدة خاصة أسلوبي الترغيب و الترهيب قصد استمالتهم، والتأثير فيهم لاستجابة دعوتهم وتصديقهم، فنلاحظ من خلال التبادلات الكلامية والمساهمات التي جرت من كلا طرفين، كيف لنبي يأتي بحجج وقومه يعرضون عنها ويصدونها أو ينفونها، وبالتالي هذه الأخيرة (الأقوام) تأتي بحجج، والنبي ينفيها عن نفسه ويردها عليهم، أو يعجزهم بحجج أخرى أقوى وأبلغ، ولا باس أن نمثل ببعض الآيات، فيتجلى ذلك في قوله تعالى

على لسان نبيه نوح عليه السلام مخاطبا قومه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦﴾[1]، فيرد عليه قومه قائلين:﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧﴾[2]، وهكذا دواليك، فهذا ما نراه في كل التبادلات والتي جمعت الأنبياء مع أقوامهم.

1-2- الحجاج بالقيم:

يُبنى هذا الحجاج من خلال اعتماد المرسِل بتذكير الطرف المحاجج (المتلقي) بالقيم السياسية والأخلاق الفاضلة، والصفات النبيلة، والقرآن الكريم واحد من بين الخطابات التي تتوافر على هذا النوع من الحجاج، فالقارئ له (القرآن)، يجد أن الله عز وجل كثيرا ما يوصي الناس بالاتصاف فالأخلاق الحميدة مثل: الصدق، العدل، والإحسان....، وبالتالي فهو ينهاهم بالاتصاف بالأخلاق الذميمة مثل: الغيبة، النميمة، الكذب، الجور، السرقة...إلخ.

ونجد هذا النوع في سورة هود خاصة، وذلك عند حجاج الأنبياء لأقوامهم، فمن بين هؤلاء الأنبياء من يعتمد على هذا النوع، خاصة إن كان الخلق أو الصفة يتحلى بها ذلك القوم، وهذا ما نجده في قوم النبي شعيب، الذين عرفوا بصفة ذميمة، والمتمثلة في السرقة في الكيل والميزان، وسرقة الناس أشياءهم، قال تعالى:﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥﴾[3]، فقد أمرهم بإيفاء الكيل والميزان بالقسط والعدل، وان لا يبخسوا الناس أشياءهم ويسرقوها ظلما وعدوا، فذكرهم بحالهم وما منَّ الله عليهم من الخيرات، فهم بخير وليسوا بحاجة إلى التطفيف في المكيال والميزان، أو سرقة الناس.

كما نرصد هذا النوع في التبادل الكلامي الذي جمع بين النبي لوط عليه السلام وقومه، حيث نهاهم لكف عما كانوا يعملون، قال تعالى:﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ

[1] - سورة هود، الآيتين 25- 26.

[2] - سورة هود، 27.

[3] - سورة هود، 85.

أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾[1]، ومن خلال هذه الآية نرى الإعجاز اللفظي في القرآني الكريم، وكيف صور قوم لوط قبل أن يأتوا إليه، فقد أخبرنا وأطلعنا أنهم كانوا يعملون السيئات، فلما علموا بضيف النبي لوط عليه السلام أتوا إليه مسرعين، فنهاهم عما كانوا يعملون.

1-3- الحجاج البلاغي:

امتاز الخطاب القرآني بطابع حجاجي مميز، ذلك كونه موجه إلى المتلقي بهدف الإقناع والتأثير، فقد جاء ليحاجج قوما امتازوا بالفصاحة والبلاغة، وعلى الرغم من تمكن عرب قريش في البلاغة، إلا أنهم لم يجدوا أبلغ من هذا الكلام، وقد تحداهم على أن يأتوا بعشر سور من مثله إن استطاعوا، فقد احتوى الخطاب القرآني في تراكيبه على جميع علوم البلاغة المعروفة، كعلم المعاني، علم البيان، وعلم البديع. هذا ما أكسبه قوة حجاجية تؤثر في عقل وقلب المخاطب، والتي تجبر على الإذعان والتسليم لهذا الكلام المعجز في لفظه ومعناه، وعليه سنتطرق إلى ذكر بعض الأساليب البلاغية التي وردت في سورة هود من تشبيه، واستعارة، وكناية.

- **التشبيه:**

يعرف التشبيه على أنه « إلحاق أمر بأمر في وصف بأداة لغرض، والأمر الأول سمي بمشبه، والثاني بالمشبه به، والوصف وجه الشبه، والأداة الكاف أو نحوها»[2]، فمن بين الآيات التي نجد فيها التشبيه في السورة، نجد قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٣﴾[3].

في هذه الآية مثلا، صور لنا الله عز وجل حال المشركين الذين أعرضوا عن آياته، فكانت حياتهم ضنكا مثل الأعمى والأصم، اللذان حرما من رؤية جمال ما خلق الله وصوره الله، كما صور لنا أيضا حال المؤمنين كونهم مهتدون « إذ الاهتداء يحصل بمجموع الصفتين»[4]، فقد شبه إذن « حال فريق الكفار في عدم الانتفاع بالنظر في

[1] – سورة هود، الآية 87.

[2] – محمد بن صالح العثيمين: شرح البلاغة من قواعد اللغة العربية، الرياض، ط1، 1434هـ، ص: 22.

[3] – سورة هود، الآية 23.

[4] – الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص: 42.

دلائل وحدانية الله الواضحة من مخلوقاته بحال الأعمى، وشبهوا في عدم الانتفاع بأدلة القرآن بحال من هو أصم، وشبه فريق المؤمنين في ضد ذلك بحال من كان سليم البصر سليم السمع، فهو في هدى ويقين من مدركاته»[1].

كما نجد التشبيه في قوله تعالى:﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾[2]، لقد تضمنت الآية الكريمة تشبيها قويا صور لنا عظمة وهول الطوفان الذي أغرق به الله عز وجل قوم النبي نوح، فقد شبه الموج بالجبال في الضخامة والعلو.

- **الاستعارة:**

عرفت الاستعارة على أنها « مجاز علاقته المشابهة»[3]، فالاستعارة هي توظيف لفظ في معنى غير ذلك اللفظ؛ أي استعماله في غير معناه الحقيقي لوجود علاقة مشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي.

من الآيات التي تضمنت الاستعارة في تركيبها قوله تعالى:﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾[4]، في هذه الآية أسلوب نداء بحيث خاطب الله عز وجل الأرض والسماء « كما يخاطب العاقل بعمل يعمله، فيقبله امتثالا وخشية، فالاستعارة هنا حرف نداء»[5]

كما أن الاستعارة الأخرى تكمن « والبلع حقيقة اجتياز الطعام والشراب إلى الحلق دون استقرار في الفم»[6]، فكذلك حصل حين أمر الله عز وجل الأرض أن تبلع الماء في باطنها، فقد شبح الأرض بالإنسان في الخطاب والبلع، وحذف المشبه به (الإنسان العاقل)، وجاء بقرينة لفظية تعود عليه، وهي: حرف النداء "يا"، الفعل "أبلعي"، "أقلعي" على سبيل الاستعارة المكنية.

---

[1] – المرجع السابق، ص: 41.

[2] – سورة هود، الآية 42.

[3] – محمد بن صالح العثيمين: شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، ص: 268.

[4] – سورة هود، الآية 44.

[5] – الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص: 78

[6] – المرجع نفسه، ص: 78.

- **الكناية:**

الكناية عبارة عن« كلمة أو جملة تدل على معنى مراد، ملازم لها، أو هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى»[1]، فالكناية هي تلميح إلى المعنى من خلال مخاطبة ذكاء المتلقي، واستدراجه إلى فهم تلك الإيماءات.

لقد وردت الكناية في سورة هود، ونجدها من خلال قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠﴾[2]، فالتركيب "فار التنور" كناية عن اشتداد الحال وبلوغ الشيء إلى أقصى ما يحتمل مثله، فمعنى كلمة فار هو «غليان القدر، ويطلق على انبع ماء، أما التنور فهو الموقد الذي ينضج فيه الخبز»[3].

كما نلتمسها في قوله تعالى:﴿ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١﴾[4]، فقد تضمنت هذه الآية في مضمونها على كناية تمثلت في العذاب القريب، الذي أهلك الله به قوم النبي لوط حين جعل عالي تلك القرية سافلها.

- **المجاز:**

ينقسم المجاز إلى نوعين أساسيين وهما المجاز العقلي والمجاز المرسل، فالمجاز العقلي هو «استعمال جملة مكان جملة»[5]، نفهم من سياق الكلام على أنها مجاز عقلي أو مركب، أما المجاز المرسل فهو « مجاز علاقته غير المشابهة، ويكون الجامع بينه وبين المعنى الحقيقي أو الصلة التي بينه وبين المعنى الحقيقي غير المشابهة»[6]، فالمجاز المرسل هو توظيف لفظ لزيادة في المعنى لوجود علاقة بينهما.

---

[1] – محمد بن صالح العثيمين: شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، ص 314

[2] سورة هود، الآية 40.

[3] – الطاهر بن عاشور: تفسيرالتحرير والتنوير، ص: 70.

[4] – سورة هود، الآية 81.

[5] – محمد بن صالح العثيمين: شرح البلاغة من قواعد اللغة العربية، ص: 302.

[6] – المرجع السابق، ص: 291.

يتجلى المجاز المرسل في قوله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾[1]، فقد تمثل المجاز المرسل من خلال التركيب "أخذ القرى"، والعلاقة هنا محلية، حيث أنه قصد بأهل القرى الذين يسمنون تلك القرى.

هذا فإن العلوم البلاغية مرتبطة تمام الارتباط بالحجاج، كون الحجاج يصبو إلى إثبات رأي أو وجهة نظر معينة من خلال التأثير واستمالة المتلقي، ولكي يتحقق هذا التأثير والاستمالة لابد من إدراج الآليات التي تطرقنا إليها سابقا.

فهي تساهم في جذب تفكير المخاطب والتأثير في أحاسيسه وعواطفه، لأنها تتميز بقوة تأثيرية حجاجية، وهذه هي الغاية التي يريد المرسل بلوغها وتحقيقها ورؤية أثرها في المتلقي، وما ينجر عن هذا الأخير (المتلقي) من قبول الدعوة والإذعان لها، وعليه فقد جاء القرآن الكريم بأسلوب لا يكاد يخلو من الأساليب البلاغية، لأنه بصدد إقامة الحجة على الطرف المتلقي.

2- الروابط الحجاجية:

تشتمل اللغة العربية على أدوات وروابط دالة على معان، فتسهم هذه الأدوات بدورها في ترتيب الحجج والربط بينها وترسيخها في ذهن المتلقي، وبهذا تصبح العربية ثرية بأساليب كثيرة ومتنوعة وهذا ما جعل النحاة العرب يهتمون بهذه الروابط ويعتقدون لها أبوابا وتقسيمات والربط الحجاجي يمثل وحدة مورفولوجية (مورفيم) تصل إلى ملفوظين أو أكثر، ولقد أشار "ديكرو" إلى دورها الحجاجي (الروابط) حيث أعطى أهمية خاصة للعلاقات التي تعبر عن نفسها محاججة واستخلاصا[2].

الرابط الحجاجي نوع من العناصر النحوية والظروف يقوم بالربط بين فعلين لغويين إثنين، وبالتالي فهو موصل تداولي يعمل على تفكيك مكونات الفعل اللغوي ليجعل منها أفعالا لغوية يحمل عليها وهي منفصلة بعضها عن بعض[3]. كما يعد عنصرا أساسيا في العملية التحجاجية.

---

[1] - سورة هود، الآية 102.

[2] - ينظر: أوزالد ديكور وجان ماري شفاير، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر منذر عياش، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، ص: 19.

[3] - ينظر: رشيد الراضي، الحاجيات اللسانية عند أنسكومبر ديكرو، مجلة عالم الفكر، مج34، الكويت، ع1، 2005، ص: 234/ 235.

فالروابط الحجاجية ترتبط بين قولين أو حجتين على الأصح (أو أكثر)، وتسند لكل قول دورا محددا داخل الإستراتيجية العامة، ويكمن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذا،لأن، بما أن، إذ...إلخ[1].

2-1- وظائفها:

تحتوي الروابط الحجاجية على وظيفتين هما[2]:

- الربط بين كل وحدتين دلاليتين أو أكثر.
- لها دور حجاجي للوحدات الدلالية التي تربط بينها، فهي تربط بين قولين أو حجتين أو أكثر.

لقد تعددت الروابط الحجاجية في القرآن الكريم كونه خطابا حجاجيا بالدرجة الأولى، فهو بصدد عرض حجاجا ومجادلة الأقوام الظالمة لأنفسهم والأنبياء والرسل الذين حملوا رسالة الله عز وجل، ففي "سورة هود" نلتمس عدة مجادلات الأقوام لرسلهم، كمجادلة قوم نوح عليه السلام له، وقوم هود عليه السلام وغيرهم، والملاحظ أن هذا الجدال امتاز بحسن السبك وبحكم النظم بفعل مجموعة من الروابط، وسنتطرق إلى ذكر بعض هذه الروابط.

وبكون سورة هود جزء لا يتجزأ من الخطاب القرآني باعتباره خطابا حجاجيا كما ذكرنا سابقا، فقد اشتملت على جملة من الروابط الحجاجية المختلفة وفيما يلي نذكر منها:

➢ الرابط الواو:

يعد الواو من بين الروابط التي استعملت بكثرة في سورة هود، ذلك بهدف الربط بين قولين أو حجتين أو أكثر، أو الربط بين الجمل التي اشتركت في مناسبة واحدة و التي تمثلت في الدعوة إلى عبادة الله عز وجل ورفض القوم لتلك الدعوة.

وقد عرف الوصل أنه « عطف جملة أخرى بالواو...إذا اتفقت الجملتان خبرا أو إنشاء وكانت بينهما جهة جامعة أي مناسبة تامة»[3].

---

[1] – أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، دب، ط1، 2006، ص: 30.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 33.

[3] – محمد بن صالح العثيمين: شرح البلاغة من كتاب قواعد اللغة العربية، ص: 181.

ونلتمس هذا الربط في قوله تعالى:﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧﴾[1].

ففي هذه الآية ثلاث حجج اتخذها قوم نوح ليطلبوا ما جاء به، وعليه نجدها كلها معطوفة بحرف الواو فقد «وصفوهم بذلك لفقرهم جهلا منهم واعتقادا منهم بان الشرف يكون بالمال والجاه(...)فأرادوا أن يحاجوا نوحا من وجهين: أحدهما أن المتبعين له أراذل القوم ليسوا قدوة ولا أسوة، والثاني: أنهم مع ذلك لم يتروّوا في إتباعه ولا أمنعوا الفكر في صحة ما جاء به، وإنما بادروا إلى ذلك من غير فكرة ولا روية، وغرضهم أن لا تقوم الحجة عليهم»[2].

ثم يرد عليهم النبي نوح عليه السلام مفندا ما كانوا يزعمون، قال تعالى على لسانه:﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩﴾[3].

فقد اشتملت هذه الآية على مجموعة من الحجج التي استعان بها النبي نوح عليه السلام ليبطل دعوى قومه، ونلاحظ كيف لعب الرابط الحجاجي "الواو" في الربط بين هذه الحجج فجاءت متسلسلة مرتبطة ومتدرجة.

➢ **الرابط "بل":**

يعد الرابط "بل" من الروابط التي «تقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين فرعيتين تسيران في اتجاه النتيجة المضادة، أي بين الحجة القوية التي تأتي بعد (بل) والنتيجة المضادة للنتيجة السابقة»[4]. لقد ورد هذا الرابط في السورة في قوله تعالى:﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧ ﴾، فيفيد «إبطال للمنفي كله الدال على صدقه في دعواه بإثبات هذا النفي»[5]. فقوم نوح تدرجوا في تقديم حججهم

[1] – سورة هود، الآية 27.

[2] – محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ج2، ط4، 1981، ص: 13.

[3] – سورة هود، الآيتين 28– 29.

[4] – أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص: 63.

[5] – الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص: 49.

انطلاقا من استصغارهم للذين اتبعوه كونهم فقراء وأراذل القوم، ثم إنكارهم لفضل النبي عليهم، وبعدها جاءت الحجة الأقوى والتي وقعت بعد "بل" والتي أظهرت إصرارهم على تكذيب النبي نوح عليه السلام بما جاء به.

➢ **الرابط "ثم":**

يعد "ثم" من الروابط الحجاجية كذلك، فهو يقوم على « أساس الترتيب والتراخي بمعنى أن الثاني يأتي بعد الأول بفترة زمنية معينة، بحيث يجب أن يقع المعطوف بعد المعطوف عليه بعد انقضاء مدة زمنية بينهما»[1].

يتجلى هذا الرابط الحجاجي في قوله تعالى:﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ٥٢﴾[2]، وفي قوله: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ٦٠﴾[3]. لقد جاء الرابط الحجاجي "ثم" في هاتين الآيتين ليبين « فرضية المهلة الزمنية بين الاستغفار والتوبة، والترتيب والتراخي بطول مدة الاستغفار بالتوبة والعمل، لأن التراخي يفضي إلى تباين المنزلتين، إذ لا تصلون إلى التوبة إلا بطول مدة استغفاركم»[4].

ويتجلى الرابط الحجاجي "ثم" أيضا في قوله تعالى:﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥﴾[5]، في هذه الآية جاء الرابط الحجاجي "ثم" كذلك « للتراخي الرتبي أين تحداهم بأن يكيدوه ثم ثم ارتقى فر رتبة التعجيز والاحتقار فنهاهم عن التأخير بكيدهم إياه، وذلك نهاية الاستخفاف بأصنامهم وبهم، وكناية عن كونهم لا يصلون إلى ذلك»[6].

---

[1] – ينظر: مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015، ص: 90

[2] – سورة هود، الآية 52.

[3] – سورة هود، الآية 90.

[4] – ينظر: مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، ص: 92.

[5] – سورة هود، الآيتين54- 55.

[6] – الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص: 100.

3- العوامل الحجاجية:

يعد العامل الحجاجي « صرفة تحول الاحتمالات الحجاجية للمضمون المطبقة عليه، وتمد العبارات المتغيرة بإمكانية استعمالها لغايات حجاجية»[1]، كما تمثل العوامل الحجاجية «مورفيمات إذا وجدت ملفوظ تحول وتوجه الإمكانات الحجاجية لهذا الملفوظ»[2]، ومن بين هذه العوامل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلا، وجل أدوات القصر[3].

3-1- وظائفها:

تحتوي العوامل الحجاجية على ثلاثة وظائف هي[4]:

- القضاء على الالتزامات والنتائج وهو ما ينقل المتلقي من التعدد والغموض إلى وحدة النتيجة.
- تنشيط المواضع، فالمواضع هي العمدة في ارتباط المعطى الذي يمكن أن يمثل حجة للنتيجة.
- تقوية التوجه نحو النتيجة، وهو ما يسمى بالسلالم الحجاجية التي تعد آلية من آليات البرمجة.

وتختلف العوامل الحجاجية عن الروابط الحجاجية في كونها لا تربط بين الحجة والنتيجة، بل تقوم بحصر الإمكانيات الحجاجية التي تكون بقول ما.

ومن العوامل الحجاجية التي وردت في سورة هود نذكر:

3-2- العامل الحجاجي (ما...إلا/ لا...ألا):

من التراكيب التي تترتب عنها الحجج حسب درجتها الحجاجية، ذلك أن التركيب الذي يتضمن الأداتين(ما...إلا) في ترتيب الحجج في سلم واحد، إذ أن (ما...إلا) عمال يوجه القول وجهة نحو الانخفاض وهذا ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه[5]. نلمس هذا العامل في السورة في قوله تعالى:﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا

[1] – محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص: 112.

[2] – جايلي عمر: نظرية الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكرو وأنسكومبر، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع3، 2018، ص: 198.

[3] – ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 27.

[4] – جايلي عمر: نظرية الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكرو وأنسكومبر، ص: 199.

[5] – بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب، ص: 519- 520.

بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧﴾[1]، في هذه الآية الكريمة أسلوب حصر أو ما يعرف كذلك القصر، ففي قولهم:﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا ﴾، هنا خصص قوم النبي نوح شيء بشيء آخر فالمخصوص هو نوح "نراك" الكاف تعود على النبي نوح والمخصوص فيه "بشرا"، وتأويل قولهم هو كيف نؤمن لك وأنت بشر مثلنا، ثم هناك حصر آخر في قوله تعالى:﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ ﴾، ففي هذا الموضوع كذلك حصر قوم نوح واقتصار الايمان برسالته على ضعفاء واراذل القوم، فالنفي والاستثناء بـ"ما" و"إلا" يعتبر عاملا حجاجيا مهما بما يقصر من الشيء على الشيء الآخر في بنية النص، فهذا العامل صورة من تقييد الفكرة المطروحة لكي يجعل المتلقي يلتفت إليها لعله يذعن[2].

ففي هذه الآية الكريمة جاء الحصر ليقدم نتيجة واحدة سواء كانت إنكار القوم لما جاء به النبي نوح أو محاولة إقناع ذلك القوم من خلال ما جاء على لسان النبي نوح قال تعالى:﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾[3]، فهنا جاء الرد على قوم النبي نوح بحصر (نفي واستثناء) لأنه يقوم بتضخيم المعنى والإسراع بالوصول إلى النتيجة.

3-3- العامل الحجاجي "إنما":

تعد "ثم" من العوامل التي تفيد القصر وهي في معنى (ما...إلا)، وقد ورد هذا العامل في السورة من خلا قوله تعالى:﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣ ﴾[4]، حيث أخبرهم أن إتيانهم بالعذاب مقتصر على الله عز وجل وليس أحد غيره فأمرهم بين يديه يفعل ما يشاء.

كما يتجلى هذا العامل الحجاجي في قوله تعالى مخاطبا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢ ﴾[5]، أي «أنت نذير لا موكل بإيقاع

[1] – سورة هود، الآية 27.

[2] – مثنى كاظم الصادق: أسلوبية الحجاج التداولي البلاغي، ص: 108- 109.

[3] – سورة هود، الآية 29.

[4] – سورة هود، الآية 33.

[5] – سورة هود، الآية 12.

الإيمان في قلوبهم إذ ليس إليك بل إلى الله»[1]، فالرسول صلى الله عليه وسلم منذر ومبلغ رسالة عز وجل إلى العالمين، لا إجبار الناس على الإيمان بالله عنوة، لذا جاء العامل الحجاجي "إنما" ليزيد من القوة الحجاجية للفظة نذير التي جاءت بعدها.

4- السلالم الحجاجية:

4-1- مفهومه:

هو عبارة عن علاقة ترتيبية لمجموعة من الحجج حسب قوتها، وهي:« ترافع لصالح النتيجة، وهذه المرافعة واحدة إلى جانب مرافعات أخرى ممكنة»[2]. وعليه فقد تشترك مجموعة من الحجج في نفس الفئة الحجاجية لتثبت نتيجة واحدة ويمكن توضيح ذلك فيما يلي:

إذا أردنا إثبات أن مصطفى مجتهد، فهذه نتيجة نرمز لها بـ (ع)، وتأتي بحجج نرمز لها بـ (أ، ب، ج) مثل:

أ: تحصل مصطفى على علامة كاملة في جميع المواد.

ب: تحصل مصطفى على علامة كاملة في المواد الأدبية.

ج: تحصل مصطفى على علامة كاملة في اللغة العربية.

إذن هذه الحجج يمكن تمثيلها في السلم الحجاجي وذلك كالتالي:

أ: تحصل مصطفى على علامة كاملة في جميع المواد.

ب: تحصل مصطفى على علامة كاملة في المواد الأدبية.

ج: تحصل مصطفى على علامة كاملة في اللغة العربية.

[1] – الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص: 18.

[2] – رشيد الرضى: الحاجيات اللسانية والمنهجية والبنيوية ضمن كتاب الحجاج ومفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، ج2، ط1، 2010، ص: 104.

إن هذه الخطاطة تمثل سلما حجاجيا، تشكل الحجة (أ) أقوى حجة، تليها الحجة(ب)، ثم الحجة (ج)، وهي حجج تخدم الحجة (ع)؛ حيث نجد الحجة الأقوى في أعلى درجات السلم، وتكون الحجة الأضعف في أدنى درجاته[1].

والسلم الحجاجي مرتبط بقوة الحجج وضعفها، وتكمن أهمية السلالم الحجاجية أساسا في« إخراج قيمة القول الحجاجي من حيز المحتوى الخبري، وهذا يعني أن قيمة الحجاجية لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، لأنها لا تخضع لشروط الصدق المنطقي، فهي ليست قيمة مضاعفة إلى البنية اللغوية بل مسجلة فيها يتكهن لها التنظيم الداخلي للغة»[2].

4-2- قوانين السلم الحجاجي:

للسلم الحجاجي ثلاثة قوانين هي قانون الخفض، تبديل السلم، والقلب:

قانون الخفض: مقتضى هذا القانون أنه إذا أصدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيده في المراتب التي تقع تحتها[3].

قانون تبديل السلم: مفاد هذا القانون أنه إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإن نقيده دليل على نقيد مدلوله[4].

قانون القلب: وهو متمم للقانون السابق، حيث يكون السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس الأقوال الإثباتية[5].

---

[1] -ينظر: شكري المبحوث: أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم ، مقال نظرية الحجاج في اللغة، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف جمادي حمود، كلية الآداب، جامعة جنوبة، تونس، دط، ص: 370.

[2] – المرجع السابق، ص: 370.

[3] – طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 277.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، ص: 278.

[5] – ينظر: حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدر البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص: 61.

4-3- السلالم الحجاجية في سورة هود:

يقوم المرسل أثناء عملية التواصل بتنظيم وترتيب حججه التي يتوجه بها إلى المتلقي قصد التأثير فيه وإقناعه وجعله يذعن لرأيه، فيبدأ بالحجة الضعيفة إلى القوية قصد الوصول إلى الغاية المنشودة.

لهذا فالسلم الحجاجي يقوم على مبدأ التدرج فبواسطته نقوم بترتيب الحجج التي تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة والتي استعان بها المرسل لإقناع المتلقي. ونحن في هذا المقام، سنقوم بالتعرض إلى بعض النماذج والوقوف على بعض الأمثلة التي تضمنت حججا يمكن دراستها وتمثيلها ضمن سلم حجاجي، وذلك كله من خلال التبادلات الكلامية والتواصلية التي حدثت بين الأنبياء وأقوامهم، ومن بين هذه النماذج:

النموذج الأول: التبادل الذي جمع بين النبي نوح عليه السلام وقومه:

فلما أرسل الله عز وجل نبيه نوحا عليه السلام إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل، فاعترض عليه قومه ولم يستجيبوا له كذبوه، واستعانوا على ذلك بحجج متباينة ومتفاوتة، و يبدوا جليا في قوله تعالى:﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧﴾[1]، ويمكن التمثيل لهذه الحجج كما يلي:

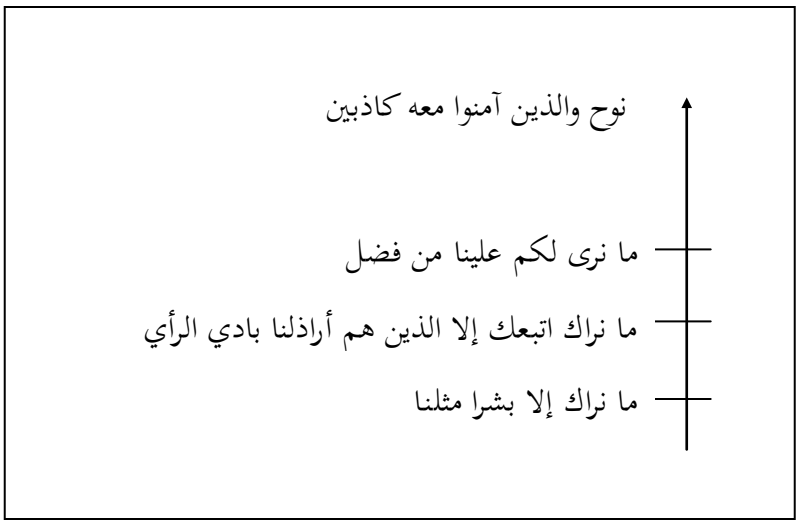

[1] – سورة هود: الآية 27.

فقد انطلقوا من مجموعة الحجج تقضي إلى نتيجة واحدة وهي بيان أن النبي نوح عليه السلام والذين آمنوا به واتبعوه كاذبين، فنلاحظ أن هم انطقوا من الحجة الضعيفة إلى الحجة الأقوى، فقالوا كيف نتبعك ونؤمن بما جئت به وأنت لست إلا بشرا مثلنا تأكل الطعام وتشرب وتمشي في الأسواق، ثم إن الذين اتبعوك هم أراذل قومنا وفقرائهم وضعفاؤهم ليس لهم حول ولا قوة، ليس لهم رأي ولا مكانة ولا منزلة، وليس عليكم أي فضل أو منّة، فنلاحظ أثناء سردهم لحججهم اعتمدوا على الحرف "ما" الذي يقتضي النفي، فنلاحظ تكراره في كل حجة يقدمونها «ليجزموا بتكذيبه فقدموا لذلك مقدمات استخلصوا منها تكذيبه»[1].

وليفند نوح عليه السلام حججهم وشباهتهم نراه قد«سلك في مجادلتهم مسلك إجمال ثم مسلك تفصيل لرد أقوالهم»[2]، فأما مسلك الإجمال فيتضح من خلال قوله تعالى:﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾[3]، أي «أرأيتم إن هداني الله وأضلكم أأجبركم على الهدى وأنتم له كارهون»[4]، فيمكن التمثيل لهذا التدرج كما يلي:

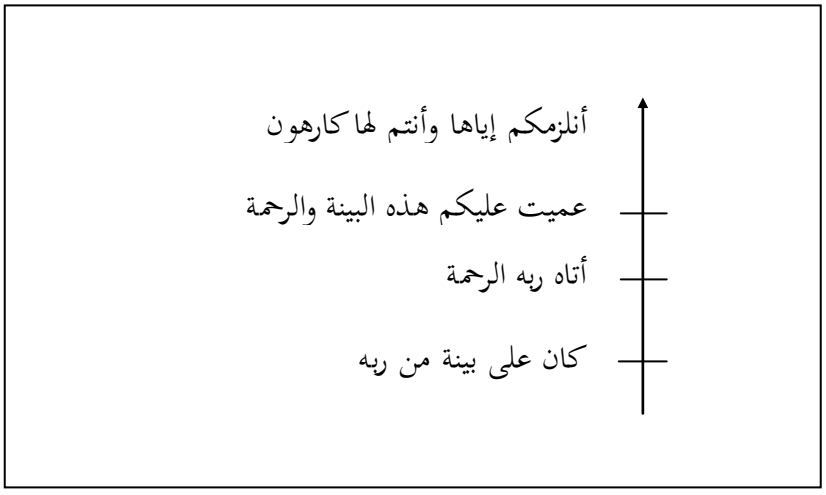

نلاحظ أنه بدأ بإظهار نعم الله عليه وبما اصطفاه به من بين عباده، وذلك أن الله منّ عليه بالنبوة والرسالة وشرفه الله بهما دون غيره، وقومه لا يستطيعون رؤية هذه النعمة والبينة التي آتاهم بها على صدق نبوته

[1] – الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص: 46.
[2] – المرجع نفسه، ص: 50.
[3] – سورة هود، الآية 28.
[4] – عبد الرحمن الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3، ط1، 1997، ص: 280.

وإعراضهم وتكبرهم وعدم قبولهم للحق، ليخلص إلى نتيجة أنه « إن كنت ذا برهان واضح، ومتصفا برحمة الله بالرسالة والهدى فلم تظهر لكم الحجة ولا دلائل الهدى، فهل ألزمكم أنا وأتباعي بها، أي الإذعان إليها والتصديق بها إن كنتم تكرهون قبولها»[1].

أما مسلك التفصيل يتمثل في قوله تعالى:﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۚ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٨ وَتِلۡكَ عَادٞ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ٥٩ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ٦٠ ﴾[2]، يمكن التمثيل له كما يلي:

فالنبي نوع عليه السلام عندما رد على قومه بعبارة الإجمال السالفة الذكر، ها هو ينتقل للرد عليهم بعبارة التفصيل، فنفى عن نفسه كل قول وكل شبهة نسبها قومه إليه لوحدها للتأكيد علة قومه إقامة الحجة عليهم.

[1] – الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص: 51

[2] – سورة هود، الآيات 29- 31.

النموذج الثاني: يتمثل في التبادل الذي جمع بين النبي هود عليه السلام وقومه:

فالنبي هود عليه السلام مرسل إلى قومه لدعوتهم إلى عبادة الله عز وجل، وتلك كانت دعوة الرسل لأقوامهم، وقد اعتمد في ذلك على حجج يمكن تمثيلها من خلال ما يلي:

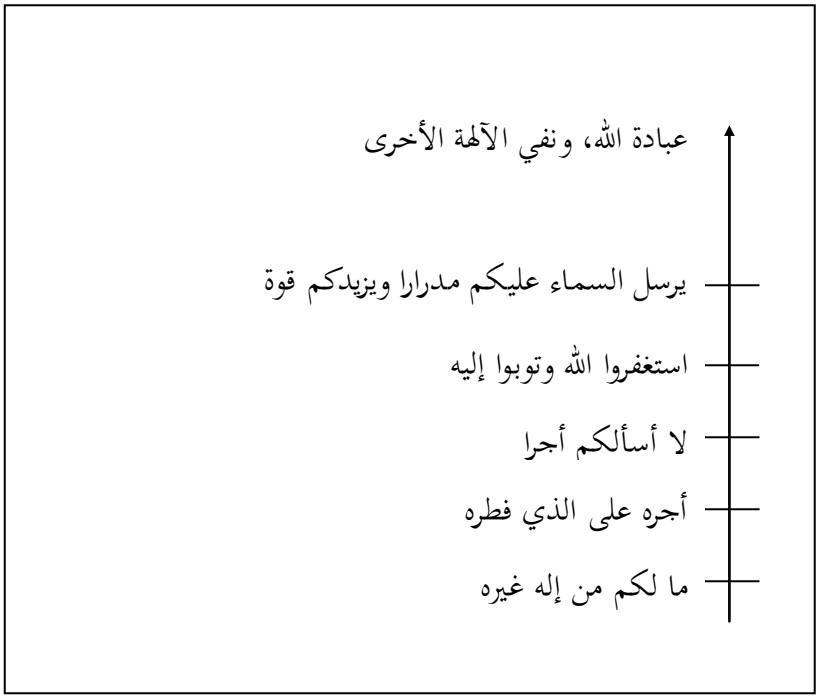

فقد اعتمد النبي هود عليه السلام على حجج تفضي إلى نتيجة واحدة وهي عبادة الله وحده ونفي ما دونه من الآلهة، وبدأ بقوله ما لكم من إله غيره، فقد نفى وجود آلهة دون الله عز وجل، ثم يقول لهم أنه لا يريد أن يعطوه أجرا مقابل دعوتهم، فأجره يأتيه به الله إن شاء، ثم أمرهم بالاستغفار والتوبة إلى ربهم من الأعمال السيئة والخطايا التي يقترفونها عسى الله أن يغفر لهم، ويرسل السماء عليهم مدرارا ويزيدهم قوة إلى قوتهم، ويزيدهم من نعمه، وما كان جواب قومه إلا أن أنكروا دعوته وكذبوه معتمدين على ذلك على حجج واهية، يمكن تمثيلها كما يلي:

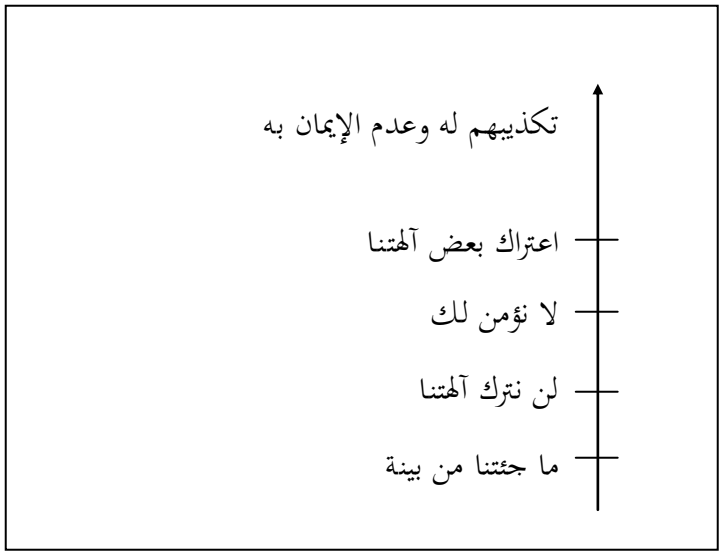

نلاحظ أن هذه الحجج تسير في خط واحد لتفضي إلى نتيجة ضمنية أنه لن يؤمنوا به، فأنكروا بيّنته التي جاءهم بها ثم اعترفوا أنهم لن يتركوا آلهتهم ليؤمنوا به، ثم إقرارهم بعدم الإيمان به وإتباعه، وأن بعض آلهتهم أصابته بسوء لما سبها وقال عليها الأقاويل.

النموذج الثالث: التبادل الذي جمع بين النبي صالح عليه السلام وقومه:

فقد اتفقت دعوة الرسل في هدفها وموضوعها، فكانت الغاية من بعثهم هو الدعوة إلى عبادة الله عز وجل، ونبذ ما سواه من الآلهة الأخرى والأصنام، وكان النبي صالح عليه السلام من المرسلين الذي خصه الله تعالى لتحقيق هذا الغرض، إذ أرسله الله إلى ثمود ليدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويتضح ذلك في قوله تعالى:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ٦١ ﴾[1].

فتوضح الآية أن النبي صالح عليه السلام استجاب لأمر ربه وأتى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده، ولما كان النبي صالح أرسل إلى قوم متكبرين جبارين، غلب عليهم الجهل والتعصب والتكبر، غلا يقبلون الحق، لما كان الموضوع الذي أرسل من أجله والغاية شديدة، فلا بد أن يستعين بحجج لتحقيق الهدف الذي جاء من أجله، ومن بين الحجج التي اعتمدها في دعواه تذكير قومه بقدرة الله عز وجل أن خلقهم من الأرض وأنشأهم فيها وجعلهم من ساكنيها وعمارها، فدعاهم إلى طلب المغفرة من الله عز وجل عن ذنوبهم و سيئاتهم ليزيدهم من

[1] – سورة هود، الآية

فضله ونعمه، قال تعالى:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ سورة هود، الآية (61).

ويمكن التمثيل لهذه الحجج كما يلي:

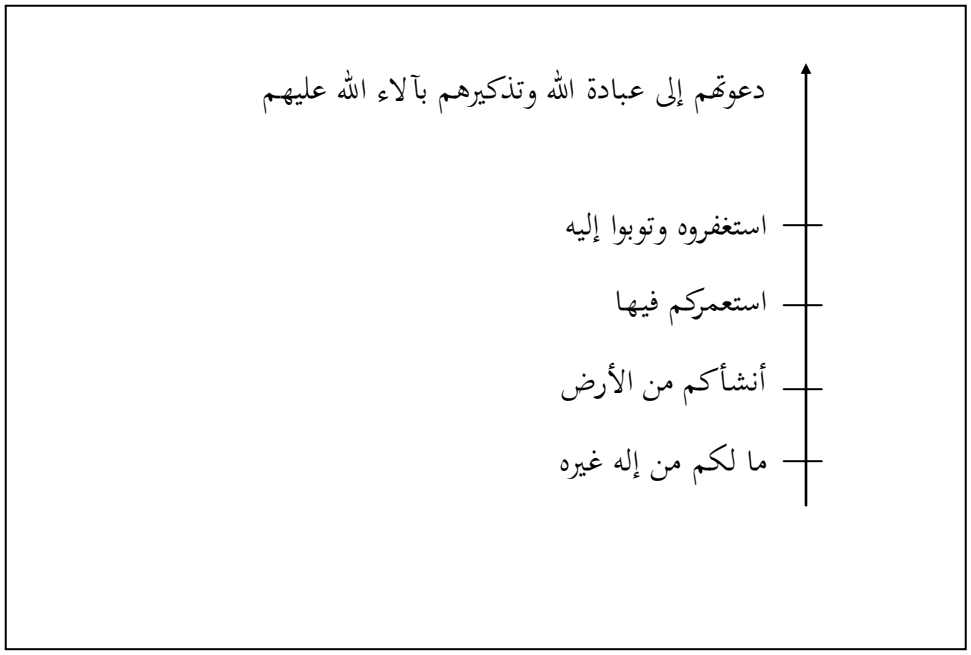

فالنبي صالح عليه السلام فضل تذكير قومه بآلاء الله عليهم ونعمه لعبادة الله عز وجل، فقال أنه (الله) هو من أوجدهم وخلقهم وجعلهم مستعمرين في الأرض يتبوءون منها حيث يشاءون، ولم يكتف بهذا فقط، فقد آتاهم بحجة ملموسة والمتمثلة في الناقة آية لهم وبينة على صدق دعوته ونبوته، قال تعالى:﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ٦٤ ﴾[1]، وما كان جواب قومه أن كذبوه واتخذوه مسخرة وكلامه الذي يتفوه به عليه حججه ودعواه، فكان عقابهم أن كانوا من الهالكين، قال تعالى:﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ٦٥﴾[2]،

[1] – سورة هود، الآية 64.

[2] – سورة هود، الآية 65.

قال تعالى:﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧﴾[1]، ويمكن التمثيل للتدرج الحججي كما يلي:

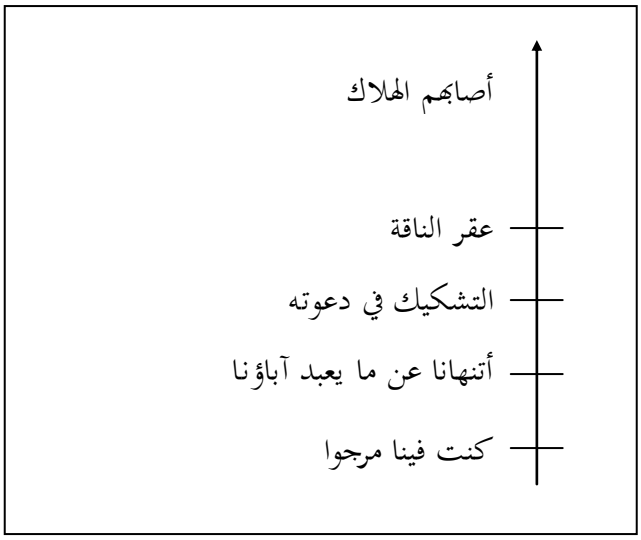

من خلال الشكل يتبين لنا كيف كانت عاقبة المكذبين، وذلك بعدما كذبوا دعوة النبي صالح عليه السلام، وفضلوا أن يتبعوا ويعبدوا ما كان أبائهم من دون الله من التماثيل والأصنام التي كانوا ينحتونها بأيديهم، ثم شككوا في دعوته وافتروا عليه أنه من المكذبين، وقالوا أنهم لم يأتيهم ببينة وحجة تدل على صدق دعوته ونبوته، فلما آتاهم بالآية المعجزة (الناقة)، لم تكن لهم حيلة ونكسوا على رؤوسهم، فاتفقوا على أن يقتلوا الناقة التي كانت معجزة النبي صالح عليه السلام وآية لهم، فعقروها، فتوعدهم الله عز وجل بعذاب قريب، ولما جاء الموعد كانوا من المهلكين.

النموذج الرابع: التبادل الذي جمع بين النبي لوط عليه السلام وقومه:

إن التبادل الذي جمع بين النبي لوط مع قومه يختلف عن موضوع التبادلات الأخرى، والتي جاءت لتقرير العبادة لله وحده لا شريك له، فإن هذا الأخير جاء في موضوع زجر قومه عن الفعلة الشنيعة التي كانوا يمارسونها، وهذه الفعلة قد اقتصرت على قرية واحدة يقال اسمها "سدوم"، فبعث الله لهم النبي لوط عليه السلام لينهاهم ويزجرهم عما كانوا يعملون.

[1]- سورة هود، الآية 67.

لما جاء الضيوف النبي لوط أسرع إليه قومه يهرعون، لعلهم يضفرون بهم، فنصحهم لوط عليه السلام بترك ذلك، وهو جلي في قوله تعالى:

﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨﴾[1]، فنلاحظ أن النبي لوط عليه السلام استعان بحجج لزجر قومه وصدهم لما جاءوا إليه، فيمكن التمثيل لها كما يلي:

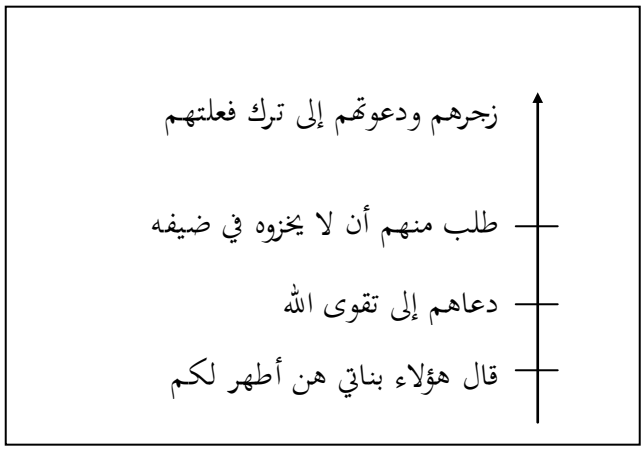

فقد استعان بثلاث حجج تخدم نتيجة واحدة يسعى الوصول إليها وهي زجر قومه عن ارتكاب السيئات، فأول حجة اعتمدها أنه أشار إلى بناته فقال هن أطهر لكم وليس ما تظنون، وقد اختلف المفسرون في لفظة بناتي، فهناك من فسره أنه بنات قومه ونسائم فنسبهن إلى نفسه من قبيل التشبيه البليغ، وهناك من قيل أنه أراد بذلك بناته من صلبه[2]، ثم دعاهم إلى استحضار تقوى الله في أنفسهم وخشيته والخوف من عقابه إن هم أصروا على طغيانهم وفعلهم المنكرات، وطلب منهم عدم إلحاق المهانة والمذلة في ضيفه.

وفي نفس السياق فلا حرج لأن نذكر الحجج التي استخدمتها زوجة النبي إبراهيم عليه السلام سارة، لما بشرتها الملائكة بالغلام، فتعجبت من هذا الأمر فقالت:﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ

[1] – سورة هود، الآية 78.

[2] – الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص: 127.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢﴾[1]، فقد اعتمدت على حجتين لتبيان عجبها من البشارة بالغلام، ويمكن التمثيل لها كما يلي:

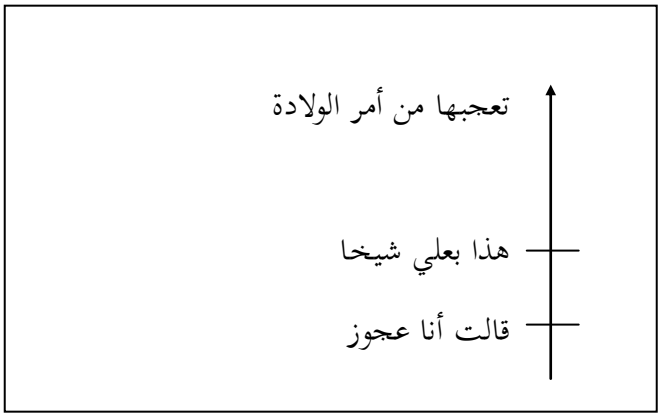

نلاحظ أن الحجتين حققتا النتيجة المرجوة وهي "تعجبها من ولادتها" وهي عجوز وبعلها شيخ كبير طاعنين في السن، فكيف لهذا الأمر أن يحدث؟ وهو نوع من أنواع الحجاج ويدعى الحجاج بالمساءلة حيث أجباتهم بحجتين على شكل استفهام إنكاري، فأفاد المعنى التالي، كيف ألد وأنا في هذا العمر وهذا بعلي شيخ كبير؟ فيأتيها الجواب من الملائكة أنه فضل الله عليهم قال تعالى:﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾[2].

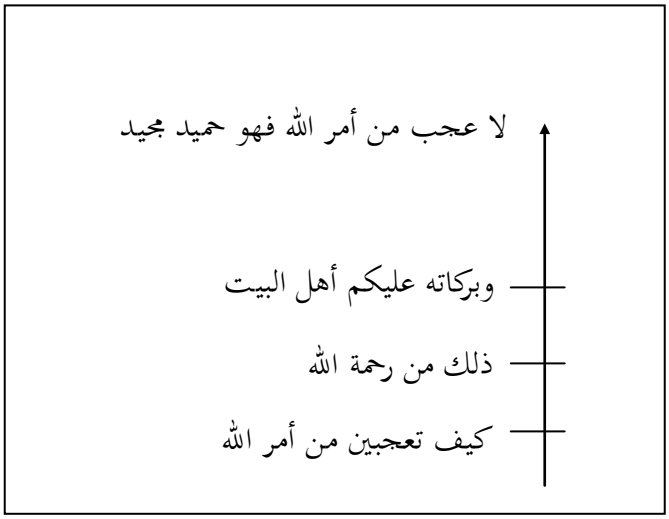

[1] سورة هود، الآية 72.

[2]- سورة هود، الآية 73.

فقد نفوا التعجب وذلك بتذكيرها بقدرة الله عز وجل، وذلك أمره، فإذا أراد أمرا أن يكون يقول له كن فيكون، وأيضا من رحمة الله عليكم وبركاته، فأنتم خصكم الله بهذه الميزة لأنكم أهل البيت مَنْزَل الوحي والرحمة والبركة وبيت حدوث المعجزات.

النموذج الخامس: التبادل الذي جمع بين النبي شعيب عليه السلام مع قومه:

إن المتمعن في هذا التبادل يراه قد جمع بين أمرين قد بعث النبي شعيب بها قزمه، فالأول يتمثل في دعوة قومه إلى عبادة الله وهذا أمر مفروغ منه، والأمر الثاني أن نهاهم عن مجموعة الصفات الذميمة والأخلاق الرذيلة والمتمثلة في تطفيف الكيل والميزان وهو الأساس، لأنه تكرر مرتين وفي آيتين مختلفتين، فالأولى في قوله تعالى:﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤﴾[1]، فهذه الآية مجملة ثم يعود ويستعمل أسلوب النداء فينادي قومه لاستحضار أذهانهم ولفت انتباههم ويعيد عليهم النصيحة والأمر بقوله:﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥﴾[2]، وذلك للوصول إلى نتيجة أنهم لا يحتاجون إلى التطفيف في الكيل والميزان، وخوفه عليهم من العذاب، ويمكن التمثيل لهذه الحجج كما يلي:

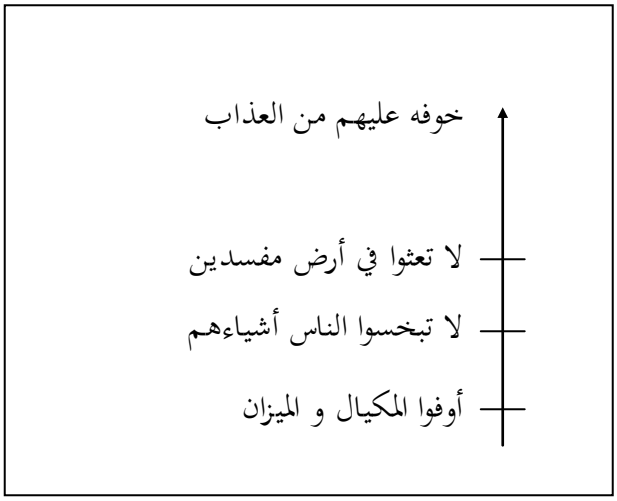

[1] – سورة هود، الآية 84.

[2] – سورة هود، الآية 85.

رابعا: الإشاريات في سورة هود:

وهي عبارة عن روابط إحالية لا تتحدد مراجعها إلا بوجود طرفي الخطاب (مرسل، مستقبل) ضمن سياق كلامي معين[1].

1- الإشاريات الشخصية:

وهي الإشاريات التي تحيل إلى المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب، وعلى رأسها الضمائر، فهي في أية لغة تتصل اتصالا وثيقا بالذاتية[2]، وإذا تفحصنا المدونة وجدنا أنها تشمل على العديد من الإشاريات الشخصية، والتي سنوردها فيما يلي:

1-1- الضمائر المنفصلة:

ضمائر المتكلم: ورد ضمير المتكلم "أنا" في الآية (29) في قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ٢٩﴾[3]، وهنا العنصر الإشاري "أنا" يحيل إلى النبي نوح وهو يدعو قومه إلى التوحيد والإيمان بالله سبحانه وتعالى، كما ورد في الآية (35) في قوله تعالى:﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ٣٥﴾[4]، يعود الضمير "أنا" هنا على النبي نوح وهو يخاطب قومه، بأنه ليس مفتريا، فهو يعلم ما عند الله من العقوبة لمن كذب عليه.

كما ورد الضمير "نحن" في الآية (53) في قوله تعالى:﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ٥٣ ﴾[5]، يحيل الضمير "نحن" المذكور في الآية إلى قوم هود وتكذيبه وعدم تصديقه، ورفضهم لدعوته لعبادة الله وحده لا شريك له.

ضمائر المخاطب: ورد الضمير "أنت" في الآية (12) في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٢ ﴾[1]، فيعود الضمير "أنت" في هذه الآية على الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

[1] – ليندة قياس: تداولية الإشاريات في الخطاب النهضوي عن مالك بن نبي، مجلة أبوليوس، ع9، جوان 2018، ص: 47.

[2] – أمل مساعد سعد الأحمدي: الإشاريات في المقابسات لأبي حيان التوحيدي، ص: 64.

[3] – سورة هود، الآية 29.

[4] – سورة هود الآية 35.

[5] – سورة هود، الآية 53.

ضمائر الغائب: كثرة ورود الضمير "هو" إذ ورد في بداية السورة في الآية (4) في قوله تعالى:﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤﴾[2]، ويحيل العنصر الإشاري "هو" هنا إلى الله، أي أن الله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء، من إحسانه إلى أوليائه وانتقامه من أعدائه، وإعادته الخلائق يوم القيامة، وهذا مقام الترهيب. كما ورد في الآية (34) في قوله تعالى:﴿ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤﴾[3]، وهنا أيضا يحيل الضمير المنفصل"هو" إلى الله تعالى، أي هو مالك أزمة الأمور المتصرف الحاكم، مالك الدنيا والآخرة.

1-2- الضمائر المتصلة:

هنا حضور قوي للضمائر المتصلة على اختلافها نذكر منها:

- ورودها في الآية الأولى متمثلا في الضير المتصل "الهاء" في قوله تعالى:﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾[4]، يعود العنصر الإشاري "الهاء" هنا على الكتاب المحكم آياته في لفظه، ومفصل في معناه، من عند الله الحكيم في أقواله وأحكامه، الخبير بعواقب الأمور.
- نجد الضمير المتصل "نا" في الآية (40) في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠﴾[5]، ويحيل هذا الضمير هنا إلى الله سبحانه وتعالى.
- أما في قوله تعالى في الآية (03):﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣﴾[6]، فالضمير المتصل "الواو" في الفعلين استغفروا وتوبوا، تعود على المشركين، دعوتهم للاستغفار من الذنوب السابقة والتوبة منها إلى الله عز وجل.

---

[1] – سورة هود، الآية 12.
[2] – سورة هود، الآية 4.
[3] – سورة هود، الآية 34.
[4] – سورة هود، الآية 1.
[5] – سورة هود، الآية 40.
[6] – سورة هود، الآية 3

- في الآية (111)في قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١١١﴾[1]، ورد الضمير "ك" الذي يحيل إلى نبيه.

2- الإشاريات الزمانية:

هي كلمات تدل على زمان يحدد السياق بالقياس، إلى زمان التكلم، وزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام[2]، وردت الإشاريات الزمانية بشكل متفاوت في الخطاب والسورة، وسنورد بعضها في الجدول الآتي:

الرقم	العنصر الإشاري	الآيات التي ورد فيها
01	ستة أيام	الآية (07)
02	يوم	الآيات (08) (43) (60)(99) (103) (105)
03	قبل	الآيتين (17) (109)
04	ثلاثة أيام	الآية (65)
05	يوم عصيب	الآية (77)
06	الليل	الآية (81)
07	الصبح	الآية (81)
08	يوم محيط	الآية (84)
09	النهار	الآية (114)

3- الاشاريات المكانية:

وهي عناصر إشارية تحيل إلى أماكن، يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم[3].

[1] – سورة هود الآية 111.

[2] – محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، ص: 19.

[3] – المرجع السابق، ص: 21.

االرقم	العنصر الإشاري	الآية التي ورد فيها
01	"أولئك" اسم إشارة	الآيات 11-16-17-18-20-21-23
02	"تلك" اسم إشارة	الآية 49
03	"هذه" اسم إشارة	الآيتين 60- 99
04	"هذا" اسم إشارة	الآيات 62- 76- 77
05	"هؤلاء" اسم إشارة	الآية 78
06	"ذلك" اسم إشارة	الآية 100
07	"وراء" ظرف زمان	الآية 96

فنجد مثلا العنصر الإشاري "أولئك" في الآية 11 في قوله تعالى:﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١﴾[1] يحيل العنصر "أولئك" هنا إلى المؤمنين بالله، الصابرين في الشدائد والمكاره في الرخاء والعافية، ويعدهم بالأجر والمغفرة.

[1] – سورة هود، الآية 11.

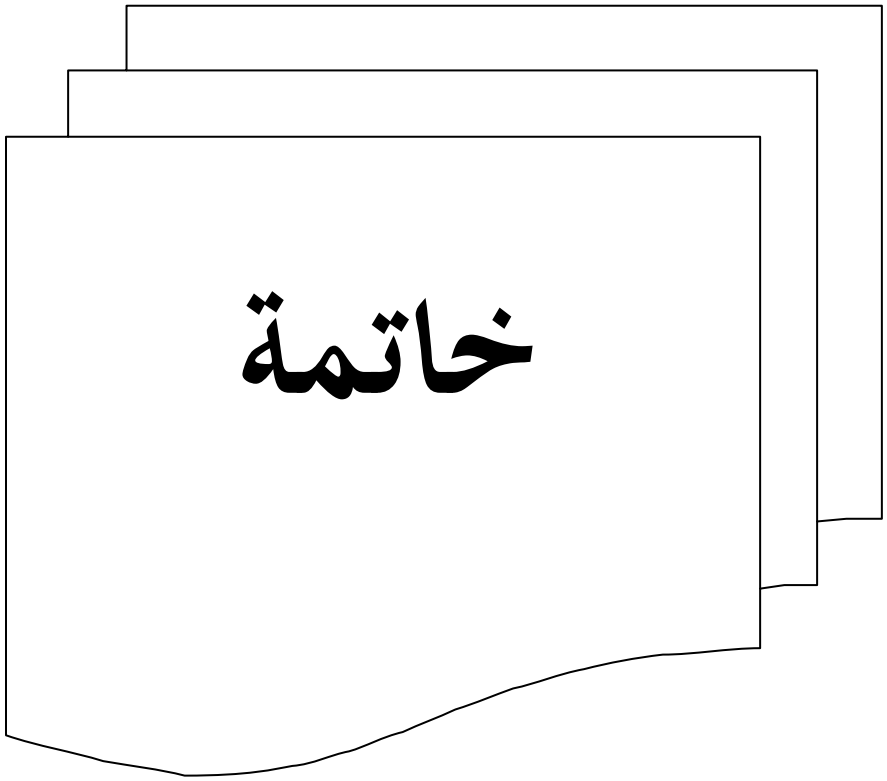
خاتمة

خاتمة:

نحمد الله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فهذا ما تيسر إعداده، وتهيأ إيراده، والله نسال أن ينفع به القارئ والباحث، وأن ييسر لنا طريق العلم، ويوفقنا فيه، وقبل ختم هذه الدراسة فإننا نلمح إلى ما استنتجنا في هذا البحث على النحو الآتي:

- التداولية بحر واسع يحوي مواضيع عدة، يصلح كل منها لان يكون موضعا للبحث والتحليل، مثل موضع الحجاج، أفعال الكلام، وما إلى ذلك من مجالات البحث التداولي.
- التداولية مصطلح قديم النشأة، حيث تطرق إليه العديد من العلماء الغرب والعرب أمثال: بيرس، ابن منظور.
- تعتبر التداولية دراسة للغة التواصل، فهي تدرس العلاقة بين المتكلم والمخاطب في السياق.
- التداولية درس جديد لا يملك حدودا واضحة، انبثق من التفكير الفلسفي في اللغة، بدأ على يد سقراط، ثم أرسطو، ومن بعدهما الوراقين.
- إن موضوع الوظائف التداولية موضوع غني ومقيد، إذ يمكننا من تحليل الجملة تحليلا أكثر وضوحا في المستويات الثلاث (تركيبا، دلاليا، تداوليا).
- أصبحت التداولية تخصصا لسانيا له موضوع خاص ومنفرد عن باقي التخصصات الأخرى، وذلك باهتمامها بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، دون إهمال المعنى الذي يحققه السياق، بالرغم من علاقتهما بالعلوم والمعارف الأخرى كعلم النفس، علم الاجتماع، التعليمية....
- الخطاب القرآني في سورة هود، خطاب تداولي بامتياز، تنوعت أساليبه تبعا لتنوع المخاطبين فيه فلقد اشتملت على وسائل عدة من صور الإقناع والتأثير، فجاءت قصص الأنبياء مع أقوامهم فيها كوسيلة للتمثيل قصد الإقناع في المتلقي (قصة سيدنا نوح، هود، شعيب...).
- التداولية تدرس عدة قضايا أهمها: الحجاج، أفعال الكلام، الاستلزام الحواري، والإشاريات، والافتراض المسبق، وهي ما تعرف بالأبعاد التداولية.
- موضوع الحجاج من أبرز مواضيع التداولية، وقد عرفته الدراسات الغربية والعربية القديمة والحديثة على حد سواء.

- الحجاج تقنية يقوم بها المتكلم ليوضح موقفه ويعلل أمام مخاطبه مع تقديم الأدلة غاية منه للإقناع.
- ليحقق الحجاج مبتغاه في الإقناع لا بد من إتباع عدة آليات مساعدة في ذلك منها: السلالم الحجاجية، كما يتحقق أيضا من خلال مؤشرات لغوية، تساعد على تقويته وهي العوامل والروابط الحجاجية.
- الخطاب القرآني خطاب حجاجي بالدرجة الأولى، وهو يرمي إلى التأثير والإقناع، ويرد الخطابات التي تحمل في طياتها عقائد فاسدة، وهذا ما يتجلى من خلال المحادثات التي جمعت بين الأنبياء وأقوامهم، فيقيم النبي الحجة على قومه خلال دعوته إلى عبادة الله عز وجل وحده.
- لقد اختلفت الأساليب والوسائل الحجاجية التي اعتمدها الأنبياء في إقامة الحجة على أقوامهم.
- تعتبر الأفعال الكلامية النواة المركزية للتداولية، وتعتبر الفعل الكلامي الإنجازي المحور الذي تدور حوله نظرية أفعال الكلام التداولية عند كل من "أوستين"و"سيرل".
- تناول العلماء العرب القدماء دراسة الأفعال الكلامية ضمن مباحث نظرية الخبر والإنشاء، وكان الكثير منهم على وعي بالجانب التداولي فقد راعوا في دراساتهم الجانب الاستعمالي والسياق اللغوي، ومقاصد المتكلمين وأحوال المخاطبين، كما راعوا مبدأ الإفادة ومطابقة الكلام لمقتضى الحال.
- تنوع الأفعال الكلامية في سورة هود فاشتملت على: أفعال كلامية إخبارية (تقريرية) تصف أحوال المتخاطبين وحوارات الأنبياء مع أقوامهم قصد إقناعهم، كما اشتملت على أفعال كلامية توجيهية خاصة: أفعال النداء، الاستفهام، الأمر، النهي، لارتباطها بالأحكام والتكاليف الشرعية.
- اختلفت الأفعال الكلامية الواردة في السورة من حيث درجة قوتها الإنجازية نفيا وإثباتا وتوكيدا مراعية لأحوال المخاطبين وتحقيق المقاصد وغايات الخطاب القرآني.
- تعددت الإشاريات الواردة في سورة هود بين إشاريات شخصية، زمانية، ومكانية.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نسأل الله تعالى أن يوفقنا ويعيننا، ويسدد خطانا ويجعلنا في خدمة الصالح العام.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص

أولا: المصادر:

1. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مج2، ج14، بيروت، لبنان، دط، 1999.
2. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، مادة (دول)، المجلد 5، دار صاد، بيروت، لبنان، ط4، 2005.
3. أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري: أساس البلاغة، تح محمد أحمد قاسم، مادة (د، و، ل)، شركة ابن الشريف الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، 2005.
4. أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري: الكشاف، ج2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، دت.
5. أبو يعقوب محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، تح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987.

ثانيا: المراجع:

1. أبو الوليد الباجي: كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تح عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط3، 2001.
2. أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، الدار البيضاء، ط1، 2006.
3. أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، دب، ط1، 2006.
4. أحسن مسليم الحجاج اللغوي قراءات في أعمال أبو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث، أربد عمان، ط1، 2018.
5. أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان، دب، ط1، 2010.
6. أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010.
7. أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.

8. أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، تح أحمد جاد، دار العهد الجديد، ط1، القاهرة، 2014.
9. أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة (البيان، المعاني، والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1993.
10. إدريس مقبول: الأسس الإبستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2005.
11. إدريس مقبول، الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم اكتاب الحديث، الأردن، ط1، 2011.
12. الأزهر الزناد: نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
13. آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مر لطيف زيتوني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
14. آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل.
15. آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل.
16. أوزالد ديكور وجان ماري شفاير، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر منذر عياش، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1.
17. باديس لهويمل، نور الهدى حسني: مداخل اللسانيات التداولية في الخطاب البلاغي متابعة بلاغية.
18. بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012.
19. بن عيسى أزابيط، الخطاب اللساني العربي ـ هندسة التواصل الإداري ـ من التجريد إلى التوليد مستويات البنية الإدمارية وإشكالاتها الأساسية، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن ط1، 2012.
20. بهاء الدين محمد مزيد: تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، دب، ط1، 2010.
21. بهاء الدين محمد مزيد: تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي.
22. جمال محمود الهوبي: تفسير سورة هود، ط1، 2007.
23. جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص، النادي الأدبي بالرياض، المركز الأدبي الثقافي العربي بالمغرب، ط1، 2009.
24. جواد ختام: التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016.
25. جون أ وفان ديك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001.

26. جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام؟، تر عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، دب، دط، 1991.

27. حافظ اسماعيل علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، ط2، 2014.

28. حافظ اسماعيلي علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الجديد، أربد، الأردن، ج1، ط1، 2016.

29. حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدر البيضاء، المغرب، ط1، 2006.

30. خالف دار ملك: الخطاب القرآني وأنواعه دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البيع والبيان والمعاني، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ع22، 2015.

31. خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية.

32. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط2، 2012.

33. دزمينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر محمد يحياتي، دار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2008، ص: 38.

34. رشيد الرضى: الحاجيات اللسانية والمنهجية والبنيوية ضمن كتاب الحجاج ومفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، ج2، ط1، 2010.

35. سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي النص والسياق، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2001.

36. صابر الحباشة، المراجعات الحجاج في التداولية مدخل إلى الخطاب البلاغي، البحرين، دط، 2011.

37. صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي: شروح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتنمية، تح عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي،ج1، بيروت، لبنان، دط، دت.

38. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة بنى ثقافية شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، دت.

39. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، علم المعرفة سلسلة كتب ثقافية، الكويت، دط، 1992.

40. طالب هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، دط، 1994.

41. الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج12، دط، 1984.

قائمة المصادر والمراجع:

42. عامر خليل الجراح: الإجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج والإنجاز، دار السنابل، اسطنبول، تركيا، ط1، 2019.
43. عباس حشاني: الخطاب والحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2003.
44. عبد الجليل العشراوي: آليات الحجاج القرآني دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، عالم الكتب الجديد، أربد، الأردن، ط1، 2016.
45. عبد الرحمن الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3، ط1، 1997.
46. عبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، ط2، مصر، 1979.
47. عبد الله صولا، في نظريات الحجاج دراسات وتطبيقات، دار مسكيل باني، تونس، ط1، 2011.
48. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004.
49. عطيات أبو السعود: الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، شركة الجلال، الإسكندرية، ط1، 2002.
50. عطية سليمان أحمد: الإشهار القرآن والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية المزج المفهومي والتداولية لسورة يوسف أنموذجا، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، القاهرة، ط1، 2004.
51. علي محمود حجي الصراف: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2010.
52. عمر بلخير: مقالات في التداولية والخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، دط، 2013.
53. العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011.
54. عيد بلبع: التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، بلنسية للنشر، المنوفيه، مصر، ط1، 2009169.
55. فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علواس، المؤسسة الحديثة، سوريا، ط1، 1997.
56. فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غولفمان، تر صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007.
57. كاترين أوركيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، تر محمد نظيف، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2007.
58. لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني "قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين"، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2014.
59. ليندة قياس: تداولية الإشاريات في الخطاب النهضوي عن مالك بن نبي، مجلة أبوليوس، ع9، جوان 2018.

60. مثنى كاظم صادق: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2015.

61. محمد بن صالح العثيمين: شرح البلاغة من قواعد اللغة العربية، الرياض، ط1، 1434هـ.

62. محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة مبحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، دب، ط1، 2008.

63. محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2005.

64. محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ج2، ط4، 1981.

65. محمد علي سلطاني: المختار من علوم البلاغة والعروض، دار العصماء، دمشق، سوريا، ط1، 2008.

66. محمد محمد علي يونس، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004.

67. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2002.

68. مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

69. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مطبعة القاهرة، مصر، ط4، 2004.

70. مهي المخزومي: في النحو العربي- نقد وتوجيه-.

71. نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، دب، دط، دت.

72. نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في اللسانيات وتحليل الخطاب، دار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1.

73. نعمان عبد الحميد بوقرة: الخطاب والنظرية والإجراء، دار جامعة الملك سعود، دب، دط، 1957.

74. نعيمة سعدية: لسانيات النص والخطاب الشعري دراسة في شعر محمد الماغوط، دار الوسام العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2015.

75. نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009.

76. نور الدين جعيط: تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتاب الحديث، أربد الأردن، ط1، 2012.

ثالثا: المجلات:

1. ابتسام بن حزاف: أفعال الكلام في قضية كليم الرحمن موسى عليه السلام، مجلة الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع12.
2. إدريس مقبول: الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج8، ع15، 2014.
3. أمل مساعد سعد الأحمدي: الإشاريات في المقابسات لأبي حيان التوحيدي دراسة تداولية في نماذج مختارة، كلية الآداب، جامعة الملك سعيد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ع11، 2019.
4. باديس لهويمل، نور الهدى حسني: مداخل اللسانيات التداولية في الخطاب البلاغي متابعة تداولية، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة بسكرة، ع2، 2017.
5. جايلي عمر: نظرية الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكرو وأنسكومبر، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع3، 2018.
6. حبيب أعراب: الحجاج والإستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، دب، ع1، 2001.
7. حمادي مصطفى: تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني مقارنة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد، مجلة الأثر، جامعة الجلالي إلياس، سيدي بلعباس، الجزائر، ع26، 2016.
8. خلف الله بن علي: التداولية مقدمة عامة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مج 14، دب، ع1، 2015.
9. رشيد الراضي، الحاجيات اللسانية عند أنسكومبر ديكرو، مجلة عالم الفكر، مج34، الكويت، ع1، 2005.
10. صبحي إبراهيم الفقي: التداولية عند ابن جني دراسة تطبيقية في كتاب الخصائص، مجلة الدراسات الشرقية، جمعية خريجي أقسام اللغات الشرقية بالجامعات المصرية، مصر، ع39، 2007.
11. عبد الحميد مصطفى السيد: دراسات في اللسانيات العربية بنية الجملة العربية التراكيب النحوية والدلالية علم النحو وعلم المعاني، دار الحامد، عمان، الأردن، ط1، 2003.
12. عيسى تومي: الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني مقاربة تداولية في آيات من سورة البقرة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج 8، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع1، 2009.
13. نصيرة عماري: نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلة اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، الجزائر، ع17، 2006.

14. نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية لأفعال الكلامية، مجلة اللغة و الإبداع، ع17، دت.

رابعا: المذكرات:

1. آمنة لعور: الأفعال الكلامية في سورة الكهف دراسة تداولية، مذكرة ماجيستر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010.
2. حليمة بوريش: أفعال الكلام في الخطاب القرآني سورة البقرة أنموذجا، رسالة ماجيستر، 2011/ 2012.
3. ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دت.
4. فايزة منغير، إلهام منغير، المنحى التداولي في كتاب الخصائص لابن جني، شهادة ماستر، 2016/ 2017.

خامسا: الملتقيات:

1. شكري المبحوث: أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم ، مقال نظرية الحجاج في اللغة، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف جمادي حمود، كلية الآداب، جامعة جنوبة، تونس، دط، دت.
2. عبد الحكيم سحابة، التداولية امتداد شرعي للسميائية، الملتقى الدولي الخامس، المركز الجامعي، الطارف، دت.

هاجر مدقن، المقاربة التداولية المصطلح والمنهج، الملتقى الدولي الأول النقدي يومي 10/9 مارس، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2011.

الملخص

الملخص:

تناولنا في هذه الدراسة "الأبعاد التداولية في سورة هود"، وتطرقنا فيها إلى ماهية التداولية في الفصل الأول، أما الفصل الثاني فتناولنا أهم الأبعاد التداولية في سورة هود، وتوصلنا من خلال عملية تتبع ودراسة الأبعاد التداولية في سورة هود إلى الكشف عن عدد من الظواهر والقضايا اللغوية، التي تعد من صميم الدرس التداولي الحديث، ومنها ظاهرة الأفعال الكلامية والحجاج، والإشاريات، والتي يزخر بها الخطاب القرآني.

Summary:

In this research paper, we dealt with the issue of "Deliberative Dimensions in Hurah Hud", In this research we addressed an entrance and two chapters. the former addressed the definition of deliberating, while the latter addressed the deliberating, the speech and the deliberative perspectives respectively.

Throng a tracing process in this research, about the deliberative dimension, we came up to the identification of a member of linguistic matters and phenomena .the latter is considered as the core of the modern deliberative cours such speech acts phenomena and argumentation witch the Quranic speech endowed with.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المقدمة:	أ
أولا: مفهوم التداولية pragmatique	6
1- المفهوم المعجمي	6
2- المفهوم الاصطلاحي:	7
ثانيا: نشأة الفكر التداولي وتطوره:	10
1- الأصول الإبستيمولوجية للنظرية التداولية:	11
1-1- الفلسفة التحليلية:	11
1-2- النظريات اللسانية الحديثة:	11
2- النشأة والتطور:	12
2-1- مرحلة التأسيس:	12
2-2- مرحلة النضج:	13
ثالثا:علاقة التداولية بالعلوم الأخرى:	16
1- علاقة التداولية باللسانيات:	16
2- علاقة التداولية بعلم الدلالة:	17
3- علاقة التداولية بالبلاغة:	18
4- علاقة التداولية باللسانيات النفسية والاجتماعية:	18
رابعا: مهام التداولية:	19
خامسا: أهمية التداولية:	19
سادسا: وظائف التداولية:	21
1- مفهوم الوظائف التداولية:	21
2- الوظيفتان الداخليتان:	22
2-1- الوظائف التداولية:	22
2-1-1- وظيفة البؤرة:	22
2-1-2- وظيفة المحور:	22
2-2- الوظائف الخارجية:	22
2-2-1- وظيفة المبتدأ:	23
2-2-2- وظيفة الذيل:	23

2-2-3- وظيفة المنادى:	24
سابعا: مفهوم الخطاب:	24
1- تعريف الخطاب:	25
1-1- لغة:	25
1-2- التوظيف القرآني:	25
1-3- اصطلاحا:	26
1-2-1- عند العرب:	26
1-2-2- عند الغرب:	27
- مفهوم الخطاب القرآني:	28
- علاقة الخطاب بالنص:	29
2- استراتيجيات الخطاب:	29
2-أ- مفهوم استراتيجيات الخطاب:	29
2-ب- الإستراتيجية التضامنية:	30
3- أنواع استراتيجيات الخطاب:	30
3-1-1- مسوغات الإستراتيجية التضامنية:	30
3-1-2- الإستراتيجية التوجيهية:	30
3-1-3- مسوغات الإستراتيجية التوجيهية:	31
4- الإستراتيجية التلميحية:	31
- مسوغات الإستراتيجية التلميحية:	32
4-1- استراتيجية الإقناع:	32
- مسوغات إستراتيجية الإقناع:	32
ثامنا: الأبعاد التداولية:	33
1- نظرية أفعال الكلام:	33
1-1- مفهوم الفعل الكلامي:	33
أ- الأسلوب الخبري:	36
ب- الأسلوب الإنشائي:	37
2- الحجاج:	38
2-1- الحجاج عند الغرب:	39

2-2- الحجاج عند العرب:	40
3- الإشاريات:	41
3-1- تعريفها:	41
3-2- أنواع الإشاريات:	41
3-2-1- الإشاريات الشخصية:	4242
3-2-2- الإشاريات الزمانية:	42
3-2-3- الإشاريات المكانية:	42
3-2-4- الإشاريات الاجتماعية:	42
3-2-5- إشاريات الخطابات:	43
4- الافتراض المسبق:	43
4-1- تعريفه:	43
4-2- أنواع الافتراضات المسبقة:	45
5- الاستلزام الحواري:	45
5-1- تعريفه:	45
5-2- أنواع الاستلزام الحواري:	46
5-3- مبدأ التعاون:	46
الفصل الثاني: الأبعاد التداولية في سورة هود	
أولا: نبذة عن سورة هود:	48
1- مكية السورة وآياتها:	48
2- اسم السورة:	48
3- موضوعات السورة:	48
ثانيا: بنية أفعال الكلام في سورة هود:	51
ثالثا: بنية الحجاج في سورة هود:	64
1- أنواع الحجاج:	64
1-1- الحجاج التقويمي:	65
1-2- الحجاج بالقيم:	66
1-3- الحجاج البلاغي:	66
♦ التشبيه	67

♦ الاستعارة:	67
♦ الكناية:	67
♦ المجاز:	69
2- الروابط الحجاجية:	70
2-1- وظائفها:	70
3- العوامل الحجاجية:	73
3-1- وظائفها:	74
4- السلالم الحجاجية:	76
4-1- مفهومه:	76
4-2- قوانين السلم الحجاجي:	77
4-3- السلالم الحجاجية في سورة هود:	77
رابعا: الإشاريات في سورة هود:	88
1- الإشاريات الشخصية:	88
1-1- الضمائر المنفصلة:	88
1-2- الضمائر المتصلة:	89
2- الإشاريات الزمانية:	9
3- الاشاريات المكانية:	90
خاتمة	93
قائمة المصادر والمراجع:	96
الملخص:	104
قائمة المصادر والمراجع:	106